

الدكتور محمد عثمان

بين يحيى المسحيين العرب ..

الإسلام ... أم الفانيكان !!

كلمة قديمة

مكتبة وهيب

الدكتور محمد عثمان

مَنْ يَحْمِي الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبَ .. الْإِسْلَامُ ... أَمْ الْفَائِئِكَانُ ??

مكتبة وهبة

٤ شارع الجمهورية، القاهرة، مصر

ت. ٢٣٩١٧٤٧ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ميثاق العيش المشترك

- ١ -

من القرآن الكريم

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤).

- ٢ -

من السنة النبوية

في عام الوفود [سنة ١٠هـ سنة ٦٣١م] جاء إلى المدينة المنورة - عاصمة دولة النبوة - وفد نصارى نجران - باليمن - . . . فاستقبلهم الرسول ﷺ وصحابته . . . وفتح لهم الرسول أبواب مسجد النبوة ، فصلوا فيه صلاة عيد الفصح . . . وكتب لهم عهداً دستورياً ، لهم ولكل من يتدين بدين النصرانية - عبر الزمان والمكان - جاء فيه :

«لنجران وحاشيتها ، ولأهل ملتها ، ولجميع من ينتحل
دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها ، قريبا وبعيда ،
فصيحا وأعجمها ، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ،
على أموالهم ، وأنفسهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ،
وعشيرتهم ، ويبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير .
● لا يُغَيِّرُ أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته .

● وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا . . بما أحفظ به نفسى
وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى . .

● ولا يُحْمَلُونَ من النكاح - [الزواج] - شططا لا يريدونه ،
ولا يُكْرَهُ أهل البنت على تزويج المسلمين ، ولا يضاروا
فى ذلك إن منعو خاطباً وأبوا تزويجاً ، لأن ذلك لا يكون
إلا بطيبة قلوبهم ، ومسامحة أهوائهم ، إن أحبوه ورضوا به .

● وإذا صارت النصرانية عند المسلم - [زوجة] - فعليه أن
يرضى بنصرانيتها ، ويتبع هواها فى الاقتداء برؤسائها ،
والأخذ بمعالم دينها ، ولا يمنعها ذلك . فمن خالف ذلك
وأكرهها على شىء من أمر دينها فقد خالف عهد الله
وعصى ميثاق رسوله ، وهو عند الله من الكاذبين .

● ولهم - [أى النصرارى] - إن احتاجوا فى مَرَمَةٍ يَبْعُهُم
وصوامعهم أو أى شىء من مصالح أمورهم ودينهم إلى

رُفد - [مُساعدَة] - من المسلمين وتقوية لهم على مَرَّتِها ،
أَنْ يُرْفَدُوا على ذلك وَيُعَاوَنُوا ، ولا يكون ذلك دَيْنًا عليهم ،
بل تقوية لهم على مصلحة دينهم ، ووفاء بعهد رسول الله ،
وموهبة لهم ، ومِنَّةُ الله ورسوله عليهم .

• . . لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم
ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم ، بالعهد
الذى استوجبوا حق الزمام ، والذَّبُّ عن الحرمة ،
واستوجبوا أن يُذَبَّ عنهم كل مكروه ، حتى يكونوا
للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم .

• واشترط عليهم أموراً يجب عليهم فى دينهم التمسك بها
والوفاء بما عاهدهم عليه ، منها :

ألا يكون أحد منهم عَيْنًا ولا رَقِيبًا لأحد من أهل الحرب
على أحد من المسلمين فى مِرِّه وعلايته .

ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا فى شىء من مساكن
عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة .

ولا يرفدوا - [يساعدوا] - أحداً من أهل الحرب على
المسلمين ، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم ،
ولا يصانعوهم .

وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم ، وعند منازلهم ، ومواطن عباداتهم ، أن يؤوؤوهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين ، وأن يكتموا عليهم ، ولا يظهروا العدو على عوراتهم .

ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم . .

● ولا يدخل شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ، ولا منازل المسلمين . .

● ولا خراج ولا جزية إلا [على] من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض ، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق ، فيؤدى ذلك على ما يؤديه مثله ، ولا يُجار عليه ، ولا يُحْمَل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها ، ولا يُكَلَّف شططا ، ولا يُتَجَاوَزُ به حد أصحاب الخراج من نظرائه .

● ولا يُكَلَّف أحد من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم ، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران ، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال ، وإنما أعطوا الذمة على أن لا يُكلفوا ذلك ، وأن يكون المسلمون ذُباباً عنهم ، وجواراً من دونهم .

- ولا يُكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذى يلقون فيه عدوهم ، بقوة وسلاح أو خيل ، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم ، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به ، حمداً عليه وعرف له ، وكوفى به .
- ولا يُجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام ، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن .
- ويُخفض لهم جناح الرحمة ، ويُكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا ، وأين كانوا من البلاد ..
- فمن نكث شيئاً من هذه الشروط وتعداها إلى غيرها فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ..
- ولا يُنقض ذلك ولا يُغَيَّر حتى تقوم الساعة إن شاء الله ..^(١)

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ١١٢ ، ١٢٣ - ١٢٧ . تحقيق : الدكتور محمد حميد الله الجيلدر أبادى . طبعة القاهرة ١٣٧٦ هـ سنة ١٩٥٦ م .

تمهيد

فى الحوار مع الفاتيكان حول «ورقة العمل» التى صاغها لتناقش فى «مجموع مينيودس» الأساقفة الكاثوليك الشرقيين ، فى حاضرة الفاتيكان - ١٠ - ٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠ م . . .

للحوار مع الفاتيكان حول موقفه من القضايا التى عرضت لها هذه « الوثيقة » يحسن أن نذكر أنفسنا ونذكر الفاتيكان ، ونذكر القراء بالموقف الفاتيكاني من الإسلام وحضارته - ليس فى التاريخ القديم ، الذى يعرفه كافة ، والذى قادت فيه الكنيسة الكاثوليكية الغربية حربا صليبية ضد الإسلام وأمتة وحضارته دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م] ، أبادت فيها مئات الألوف من المسلمين - بل والمسيحيين الشرقيين! - وأقامت فى الشرق الإسلامى « ممالك » و « كونييات » مثلت نماذج لواحدة من أبشع وأشهر ألوان الاستعمار الاستيطانى فى التاريخ .

لا نريد العودة للتذكير بهذه الصفحة السوداء والبائسة من ذلك التاريخ القديم - والتى لم يعتذر عنها الفاتيكان حتى هذه اللحظات : . . . وإنما نريد - فى هذا التمهيد - الإشارة - مجرد الإشارة - إلى مواقف الفاتيكان من الإسلام وأمتة وحضارته فى الصفحة المعاصرة من تاريخنا الحديث .

● فعقب انتخاب البابا السابق « يوحنا بولس الثانى »
[١٩٢١ - ٢٠٠٥م] أطل على رعيته ، من شرفة القديس
بطرس - فى ١٦ / ١٠ / ١٩٧٨ - وأعلن :

« أن المسيح هو الحل » .. وأنه لابد من « تنصير الثقافة » ..
وأن المعركة هى « من أجل الاستيلاء على عقول البشر »^(١).

ومنذ ذلك التاريخ ، تصاعدت جهود الفاتيكان - مع الكنائس
الغربية الأخرى - لتنصير المسلمين . . ورفع الفاتيكان شعار :
« إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م » ، فلما لم يتم تحقيق هذا
« الهدف » فى موعده ، رحّل الفاتيكان « التاريخ » إلى سنة ٢٠٢٥م !..

● وفى ظل احتلال إسرائيل لكل الأرض المقدسة - فلسطين -
وتصاعد وتيرة التهويد للقدس الشريف ، وإبلاع المستوطنات
الصهيونية للأرض العربية . . تزايدت وتيرة المودة والتقارب
بين الفاتيكان وبين اليهودية واليهود وإسرائيل . . فتصاعد
الحديث الفاتيكاني عن « زرع المسيح فى إسرائيل » .. وعن
« اعتباره يهودياً » !! . . حتى أن البابا الحالى - بنديكطس
السادس عشر - قبل بابويته - وعندما كان اسمه الكاردينال
« راتزنجر » - وكان الرجل القوى فى الفاتيكان - عندما أُلِفَ

(١) ستونر سوندرز [الحرب الباردة الثقافية] ص ٢٤ . ترجمة : طلعت الشايب .
طبعة المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٢ م .

كتاباً عن السيدة مريم العذراء - عليها السلام - جعل عنوان الكتاب : [ابنة صهيون] ...^(١) .

● وفى ١٩٨٤/٤/٢٠ م - وبمناسبة «سنة الفداء» - تجاهل الفاتيكان عروبة مدينة القدس ، التى بناها «النيبوسيون» العرب فى الألف الرابعة قبل الميلاد - أى قبل ظهور اليهودية على يد موسى - عليه السلام - فى القرن الثالث عشر ق . م بسبعة وعشرين قرناً - تجاهل الفاتيكان عروبة المدينة المقدسة ، المحتلة ، وأعلن - بمناسبة «سنة الفداء» - وفى أعقاب ضم الاحتلال الصهيونى للمدينة لتكون عاصمة أبدية لإسرائيل - أعلن الفاتيكان - فى هذه المناسبات - أن القدس هى شعار الوطن اليهودى .. وقال :

«منذ عهد داود ، الذى جعل أورشليم عاصمة لمملكته ، ومن بعده ابنه سليمان ، الذى أقام الهيكل ، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود ، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام ، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم ، وهم يرون المدينة شعاراً لوطنهم» ! .

(١) الدكتور عطاء الله مهاجرانى . مقال «البابا وحديثه من العصمة إلى النسيط الساذج» - صحيفة «الشرق الأوسط» لندن - فى ٢٦/٩/٢٠٠٦ م .

وتجاهل الفاتيكان أن القدس عربية من (الألف الرابع ق . م ..
أى قبل داود وسليمان - عليهما السلام - اللذين عاشا فى القرن
العاشر ق . م - بثلاثة آلاف عام! ..

- وفى سنة ١٩٨٦م كان البابا يوحنا بولس الثانى أول بابا
كاثولىكى يزور كنيسة يهوديا - كنيس روما القديم - ! .
- وعندما أقام الفاتيكان العلاقات الدبلوماسية مع الدولة
الصهيونية سنة ١٩٩٣م ، وعقد معها معاهدة - فى
١٢/٣١/١٩٩٣م - تحدثت مقدمة هذه المعاهدة عن :

« العلاقات الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودى »!

فهذه المعاهدة . . وهذه العلاقات الفريدة ليست - فقط - بين
« دولة الفاتيكان » و « دولة إسرائيل » . . وإنما هى - أيضاً - بين
« الكاثوليكية » وبين « الشعب اليهودى » . . أى أنها ملزمة لكل
الكاثوليك على امتداد الأوطان والقوميات ، بمن فيهم الكاثوليك
فى الشرق الإسلامى!

- وفى مارس سنة ٢٠٠٠م زار البابا يوحنا بولس الثانى
إسرائيل . . وقدم اعتذاراً وندماً - غير مسبوقين من الحبر
الأعظم المعصوم ! - لليهود عما ارتكبه الكنيسة الكاثوليكية -
والكاثوليك - فى حقهم - بسبب المعاداة المسيحية للسامية! ..
وكتب بذلك الاعتذار والندم « مذكرة » بابوية وضعها فى شق

الحائط الغربي بالقدس - [الذى يسميه اليهود حائط المبكى] - . . . وطلب - فى هذه المذكرة - الصفح عن الكنيسة الكاثوليكية والكاثوليك للخطايا التى ارتكبوها فى حق اليهود . . .

● وعندما زار البابا - فى ذات الرحلة - دمشق ، ودخل المسجد الأموى ، لزيارة قبر النبی يحيى - عليه السلام - يوحنا المعمدان - بصحبة الرئيس السورى بشار الأسد - أشار البعض على البابا بزيارة قبر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢-٥٨٩هـ - ١١٣٧-١١٩٣م] - وهو يمدخل المسجد الأموى - فرفض البابا زيارة قبر صلاح الدين ، كى لا تكون هذه الزيارة إشارة للاعتذار عن الحروب الصليبية التى دامت قرنين من الزمان .

● وفى سنة ٢٠٠٤م استقبل البابا كبار حاخامات اليهود - فى الفاتيكان - وقال - فى حضرة كبير الحاخامات لليهود الغربيين فى إسرائيل «هائير لاو» :-

«لأنتى حيثما ذهبت أقول دائماً : إن علينا - بنى البشر - أن نهتم ونرعى أجيال المستقبل من إخوتنا الكبار - اليهود - !» - ولقد تكلم فى هذا الموقف باسم «بنى البشر» أجمعين!! . . .

● وفى سنة ٢٠٠٠م صاغ رجل الفاتيكان القوى - الكاردينال «راتزنجر» وثيقة «المسيح المهيمن» - التى أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى - والتى تقول :

« إن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هي الكنيسة الوحيدة الحقيقية ليسوع المسيح . - وأن الخلاص هو للكاثوليك دون سواهم » ! .

● وفي سنة ٢٠٠٤م أعرب الكاردينال « راتزنجر » - قبل توليه البابوية - عن مناهضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ، لأنها دولة مسلمة ! .

● وعندما توفي البابا يوحنا بولس الثاني ، وأصبح الكاردينال « راتزنجر » هو البابا بنديكتوس السادس عشر - في إبريل سنة ٢٠٠٥م - كشفت مجلة « نيوزويك » - الأمريكية - عن أولى أولويات هذا البابا الجديد - وهي « مواجهة الإسلام » - الذي يمثل - بنظر الغرب - خطراً أكبر من خطر الشيوعية - وقالت - تحت عنوان [بابا يواجه الإسلام] :-

« لأن الإرهاب العالمي - [الإسلام] - يجعل مشكلات شيوعية الكتلة الشرقية - [التي حاربها البابا السابق] - بحدثة التليفزيون الأبيض والأسود . فإن ظهور الإسلام كقوة - في شكله الأصولي والمعاصر - يتطلب حبراً أعظم يتمتع بمعرفة لاهوتية ودبلوماسية رفيعة . - وإن على البابا الجديد أن يتعامل مع التحدي الإسلامي في قلب أوربا ، حيث يشكل

المهاجرون المسلمون ونسلهم الآن قوة اجتماعية ودينية جديدة لم يكن على الكنيسة أن تواجهها من قبل»^(١).

● ولقد افتتح هذا الباب الجديد - بنديكتوس السادس عشر - ولايته المقدسة بـ :

١- إلغاء لجنة «حوار الأديان» .. وسماها «حوار الثقافات» .

٢- وإلغاء صدور مجلة «إسلامو كريستيانا»!

● وعند استقباله ممثلين مسلمين - في مدينة «كولونيا» الألمانية - قال لهم :

«إن على المسلمين نزع ما في قلوبهم من حقد ، ومواجهة كل مظاهر التعصب ، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف»!

● وفي سبتمبر من نفس العام - سنة ٢٠٠٥م - استقبل البابا الصحفية الإيطالية «أوريانا فالاشي» ، التي اشتهرت بكتاباتها العنصرية العنيفة والحاقدة ضد الإسلام والمسلمين! ..

● وفي نفس العام - سنة ٢٠٠٥م - نشر البابا - بالاشتراك مع الكاتب الإيطالي «بيرا» - في نيويورك - كتابا عنوانه : [بلا جذور : الغرب . النية . الإسلام والمسيحية] أعلن فيه عن مخاوفه .. وأهمها ثلاثة مخاوف :

(١) «نيوزويك» عدد ٢٠٠٥/٤/٩م

« أولها : تحول مسيحية غالبية الأوربيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية في يوم من الأيام .

وثانيها : تراجع معدلات المواليد في أوروبا المسيحية .. وأن عدة شعوب - خصوصاً الألمان والإيطاليين والإسبان - ربما لا تعد موجودة قبل نهاية القرن الحالي .. أو تصبح أقليات داخل دولها ..

وثالثها : أن الذين سيحلون محل هذه الشعوب المسيحية الأوربية المنقرضة ، هم المهاجرون المسلمون من إفريقيا والعالم العربي .. الأمر الذي يبعث على القلق من احتمال أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين !

● وفي ٢٠٠٦/٤/١٨م نشرت صحيفة «لوموند» - الفرنسية - مقالاً للكاتب «هنري تنك» ، تحدث فيه عن «انشغال الفاتيكان بصعود الإسلام» .. وجاء - في المقال - على لسان البابا بنديكتوس السادس عشر - :

« إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية ، ولا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية !»

● وكان هذا الموقف الفاتيكاني - الذي إن اعترف «بالمسلمين» .. فإنه يرفض الاعتراف «بالإسلام» - مع أن الإسلام يعترف بالمسيحية - على عكس اليهودية - التي لا تعترف بالمسيحية ، ومع ذلك تعترف المسيحية بها .. وتتردد إليها ...

كان هذا الموقف الفاتيكاني من الإسلام امتداداً لموقف قديم ،
يتم الإفصاح عنه في المناسبات . .

- ففي مؤتمر « الحوار الإسلامي المسيحي » الذي عقد في
« فندق شيراتون هليوبوليس » - بالقاهرة - في ٢٨ ، ٢٩ أكتوبر
سنة ٢٠٠١ م ، رفض ممثل الفاتيكاني « القس خالد أكشة » وممثل
مجلس الكنائس العالمي - الدكتور طارق متري - التوقيع على
البيان الختامي للمؤتمر ، لأن فيه عبارة : « الديانات السماوية
والقيم الربانية » .. وقالوا : « نحن لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً ،
ولا بالقيم الإسلامية قيماً ربانية » . .

- ولقد تكرر هذا الإعلان الفاتيكاني - صراحة - على لسان
القس الكاثوليكي « كريستيان فانيسين » - الذي يعيش بمصر - في
الحوار المسجل والمذاع - على الهواء - بإذاعة الـ B . B . C - من
مكتبها بالقاهرة - في برنامج « حديث الساعة » - يوم الأحد
٢٠٠٦/٩/١٧ م - عندما قال هذا القس بالنص : « نحن لا نعترف
بأن الإسلام دين سماوي » . .

● ولقد تصاعد تهجم البابا بنديكتوس السادس عشر على الإسلام
ورسوله ﷺ وقرآنه ، في محاضراته الشهيرة بجامعة
« ريجنسبورج » - الألمانية - في ١٢ سبتمبر سنة ٢٠٠٦ م -
وهي المحاضرة التي فجرت ردود فعل عالمية - والتي بدأها

بالمهجوم على الإسلام . . بل واستغرق هذا الهجوم على الإسلام
ربع المحاضرة ، رغم أن موضوعها وعنوانها لم يكن عن
الإسلام !! . . .

وفي هذه المحاضرة ردد البابا مقولات « ثقافة الكراهية السوداء
الصليبية » التي تقول عن رسول الله ﷺ :

« إنه لم يأت بجديد ، سوى الأشياء الشريرة ، وغير
الإنسانية ، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف » ! .
وادعائه أن القرآن قد نسخ آية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾
(البقرة: ٢٥٦) « بتعليقات وأوامر اللثام ، بشأن الحرب المقدسة ،
التي ذكرت لاحقاً ودونت في القرآن » ! . . .

مع أن آية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ محكمة . . جاءت في سورة
البقرة ، المدنية . . ومن أواخر السور التي نزلت من القرآن . . .

كذلك اتهم البابا - في هذه المحاضرة - الإيمان الإسلامي
باللاعقلانية ! . . وقال إن التعبد في الإسلام إنما يتم بشكل
وثني أعمى ! . . .

● ورغم ردود الفعل الغاضبة ، التي قوبلت بها هذه المحاضرة
البابوية المستغزة للمسلمين ، والمفترية على الإسلام - في
الشرق والغرب - حتى لقد وصفنها « نيوزويك » - الأمريكية -
« بالحماسة » ! . . .

رغم ذلك، استمر البابا في تحدى الإسلام واستفزاز المسلمين ..

- ففي مارس سنة ٢٠٠٨م ، قام البابا - فى احتفالات عيد الفصح .. الذى تنقله كل محطات التلفاز العالمية - بتعميد صحفى مصرى - يعيش فى إيطاليا - اسمه مجدى علام - لم يعرف عنه سابقة تدین بالإسلام .. لأنه نشأ فى وسط كاثوليكي - كانت أمه تعمل خادمة فيه - وتعلم بالمندوس الكاثوليكية ، حتى أنه يجيد الإيطالية أكثر من أهلها ! .. فكان تعميده بواسطة الحبر الأعظم - عظيم الفاتيكان - وفى هذا العيد ، الذى يشاهده العالم - استفزازاً كبيراً ومتعمداً من البابا لمشاعر مليار وستمائة مليون من المسلمين ..

- وفى صيف سنة ٢٠٠٧م بادر ١٣٨ عالماً من علماء الإسلام - فى محاولة لتهدئة العلاقات بين المسلمين والفاتيكان - فأرسلوا إلى البابا رسالة - من خلال «مؤسسة آل البيت» بالأردن - يطلبون الحوار ، للوصول إلى «كلمة سواء» .. فكان الرد الفاتيكاني هو تصريح ممثل الفاتيكان «بأن الحوار مع المسلمين صعب ، لأنهم يؤمنون أن القرآن من عند الله» !! ..
- وفى مايو سنة ٢٠٠٩م زار البابا بنديكتوس السادس عشر الأراضي المقدسة ..

- وفى عمان - بالأردن - دعا المسلمين إلى فصل الدين عن

الدولة والسياسة .. وعلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية ! ..

- وفي إسرائيل . . زار متحف المحرقة . . وتحدث عن اليهود باعتبارهم « الإخوة الأعزاء » . . ودعا إلى تعميق المصالحة مع اليهود . . وزار - وهو الحبر الأعظم . . عظيم الفاتيكان . . أكبر الكنائس المسيحية - زار أسيرة الجندي الصهيوني « جلعاد شاليط » - الذي أسرو وهو يقهر شعباً فلسطينياً برزح تحت نير الاحتلال ! . .

وتجاهل البابا - الذي يتحدث كثيراً عن العدالة - أن أكثر من عشرة آلاف أسير فلسطيني - بينهم نساء وأطفال - يقبعون في سجون الدولة الصهيونية ، لا لشيء إلا لأنهم يريدون تحرير وطنهم من قهر الاحتلال . . فلم يشر البابا إليهم بكلمة . . ولم يتذكر أن لهم أسيراً تنتظر أبناءها منذ أكثر من عشرين عاماً ! . .

- وعندما زار البابا القدس الشريف ، لم يقل كلمة واحدة عن عروبتها . . ولا عن التهويد الذي يجهز على هويتها العربية ! . . فمعاهدة الفاتيكان مع الدولة الصهيونية في ١٩٩٣/١٢/٣١ م - قد جعلت الكنائس الكاثوليكية في المدينة المقدسة تسجل نفسها وفق القانون الإسرائيلي الذي ضم المدينة إلى إسرائيل بعد احتلالها سنة ١٩٦٧ م ! . .

- وفي المرة التي أشار فيها البابا إلى حقوق الفلسطينيين - بمدينة بيت لحم في ١٣ مايو سنة ٢٠٠٩ م - أشار إلى حق

الفلسطينيين في «وطن» داخل «حدود معترف بها دولياً» . . . ولم يذكر مصطلح «الدولة»! . . . وترك حدود هذا «الوطن» - الذي ابتلعت المستوطنات الصهيونية - في القدس والضفة الغربية - أكثر من نصف بقاياها! . . . ترك البابا تحديد «حدود هذا الوطن» «للمجتمع الدولي» الذي يستحكم فيه الفيتو الأمريكى ، والمسيحية الصهيونية - الغربية! . . . ونسى البابا - أو تناسى - أن هناك حدوداً «للدولة الفلسطينية» حددتها الأمم المتحدة بقرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧م . . . وأن هناك - أيضاً - حدوداً للأرض التي احتلتها إسرائيل في عدوان سنة ١٩٦٧م . . . نسى الحبر الأعظم - عظيم الفاتيكان - كل هذه «الحدود» و«الحقوق» إكراما لعيون الصهيونية - وهو الذي جعل عنوان كتابه عن مريم : [ابنة صهيون]!! . . . وأطلق على اليهود لقب «الإخوة الأعزاء»! . . .

ومع هذه «الحدود» و«الحقوق» الفلسطينية ، نسى البابا - هو وكنيسته - حقوق الإسلام والمسلمين ، الذين يعترفون بالمسيحية - وبكل النبوات والرسالات والكتب والشرائع - والذين يعظمون رموز المسيحية أكثر مما يعظمها كثير من المسيحيين! . . . والذين يتلون في صلواتهم آيات القرآن الكريم التي تصف الإنجيل بأن ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٦) .

تلك حقائق ووقائع ، يحسن أن نذكرها ، وأن نذكر بها^(١) ونحن نتقدم إلى حوار الفاتيكان حول موقفه الأحداث من الإسلام والمسلمين ، ذلك الذى صاغه فى « ورقة العمل » ، التى سيناقشها « مجمع - سينودس » أساقفة الكاثوليكية الشرقية - فى حاضرة الفاتيكان - ١٠-٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠م . . . وهو حوار نبتغى من ورائه مراجعة المواقف . . وتصويب التصورات ، للوصول - نحن والفاتيكان - إلى كلمة سواء .

(١) انظر - فى هذه الحقائق والوقائع - :

- « نيوزويك » - الأمريكية - أعداد ٢٠٠٥/٤/١٢ ، ٢٠٠٥/٤/١٩ ، ٢٠٠٥/٥/٣ ، ٢٠٠٥/٥/١٠ ، ٢٠٠٦/٩/٢٦ ، ٢٠٠٧/٢/٢٧ . وصحيفة « الشرق الأوسط » - لندن - عدد ٢٠٠٦/٩/٢١ . مقال السيد ولد أباه ، البابا والإسلام : الخلفية التاريخية للخطاب . - وعدد ٢٠٠٦/٤/٢٦ م « منتدى الكتب » . وصحيفة « الأهرام » - القاهرة - مقال أسامة سرايا « عاصفة بابا الفاتيكان » عدد ٢٠٠٦/١٠/١٣ . وصحيفة [المدينة] السعودية - ملحق « الرسالة » عدد ٢٠٠٦/١٠/٦ . وصحيفة « الأسبوع » القاهرة . عدد ٢٠٠٦/١١/٥ م . وصحيفة « العالم الإسلامى » - مكة - عدد ٢٠٠٦/١١/١٦ م . وصحيفة [عقيدتى] - القاهرة - عدد ٢٠٠٦/١١/١ م . وصحيفة « البصائر » - الجزائر - عدد ٢٠٠٦/٧/١٠ م - مقال : الدكتور عمار الطالبي . وصحيفة « وطنى » - القاهرة - عدد ٢٠٠٦/٩/٢٤ - الترجمة الكاملة لمحاضرة البابا بنديكطوس السادس عشر بجامعة « ريجنسبورج » - الألمانية فى ١٢ سبتمبر سنة ٢٠٠٦ م . وانظر - كذلك - كتابنا [الفاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٧ م .

خَمْسُ مُقَدِّمَاتٍ

- أولى هذه المقدمات : هي الطريقة التي صيغت بها هذه « الوثيقة - ورقة العمل » . . . وهي طريقة مألوفة ومتبعة في المؤتمرات الكنسية - وخاصة الغربية - ومن أشهرها « مؤتمر كولورادو » الذي عقدته الكنائس الأنجيلية الأمريكية - لتصوير المسلمين - في مايو سنة ١٩٧٨ م . . .
- لقد كتبت أولاً « ورقة الخطوط العريضة » . . . وصدرت عن الفاتيكان في سنة ٢٠٠٩ م . . . ووزعت في حدود النخبة الكنسية لكانتوليك الشرق - في ١٩ يناير سنة ٢٠١٠ م .
- وكان عدد بنود « ورقة الخطوط العريضة » ٩٢ (اثنان وتسعون) بنداً . . . ولقد ذيل كل محور من محاورها بعدد من الأسئلة كي يجيب عليها المختصون الذين وزعت عليهم هذه الخطوط العريضة . . .
- ولحاجة في نفس « يعقوب الفاتيكانى » خلت « ورقة الخطوط العريضة » هذه من البنود التي تتعلق بعلاقة الفاتيكان بالمسلمين ! . . . وهي البنود التي ظهرت في الورقة النهائية - « ورقة العمل » - والتي وردت في البنود من ٩٥ إلى ٩٩ . . .
- وبعد جمع الإجابات على الأسئلة ، أعيدت الصياغة ، لتصدر « ورقة العمل » هذه ، مكونة من ١٢٣ بنداً . . .

هكذا صيغت « ورقة العمل » ، التي ستكون « جدول أعمال » اجتماع « مجمع - سينودس » أساقفة كاثوليك الكنائس الشرقية ، الذي سينعقد في حاضرة الفاتيكان - بروما - في المدة من ١٠ إلى ٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠ م .

تلك هي الطريقة المثلى للإعداد للمؤتمرات . والتي يجب أن يتعلم منها الذين تبدد حياتهم وجهودهم كثرة المؤتمرات والندوات .

● وثاني هذه المقدمات : ما ادعته « ورقة العمل » هذه من ابتعاد هذا « المجمع - السينودس » عن السياسة . . . وذلك عندما جاء في البند ٤٣ :

« وقبل كل شيء ، ينبغي أن نذكر بأن هدف مجمع سينودس هورعوى محض ، ولا يتناول القضايا الاجتماعية - السياسية للبلاد إلا بطريقة غير مباشرة » .

وهي دعوى لا ظل لها من الحقيقة على الإطلاق . . . فورقة العمل هذه ، في معظمها ، حديث في السياسة ، وفي العمق السياسي للبلاد الشرقية . . . وإلا فماذا تكون قضايا مثل :

- الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي . .

- وعلمنة المجتمعات الإسلامية . .

- والتصدي والمواجهة لظواهر « الإسلام السياسي »

و « الأسلمة » .

- بل وطلب التدخل الخارجي الغربي - السياسي والديني - في شئون أوطان الشرق! ..

إنها «ورقة عمل» سياسية ، تمثل جدول أعمال سياسي ، يعقده بظاركة وأساقفة هم زعماء سياسيون في كنائس الشرق ، المحرومة مساجده من الاقتراب من التفكير في مثل هذه السياسات - على الأقل في كثير من هذه البلاد - ! ..

● وثالث هذه المقدمات : هي طبيعة هوية الأوطان التي تعيش فيها هذه الكنائس . . . في تحديد هذا الوطن وهويته ، تقول «ورقة العمل» هذه - في البند ١٠٦ - :

«إننا ننتسب إلى الشرق الأوسط ، ومعنا نتحدد هويتنا . . . وعلى امتداد بنود هذه الوثيقة ينتشر مصطلح «الشرق الأوسط» - بدلاً من «الوطن العربي» ، أو «الشرق الإسلامي» ، أو حتى «المشرق»! ..

ومعروف أن مصطلح «الشرق الأوسط» قد صاغه الاستعمار الإنجليزي ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، لجعل من هذه المنطقة مجرد جغرافيا ، مجردة من الهوية العربية الإسلامية ، وذلك حتى تقبل في أحشائها الجسم الغريب - جسم الدولة الصهيونية - التي لا هي عربية ولا هي إسلامية - والتي بدأ «الحمل» الاستعماري بها منذ وعد «بلفور» في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م! ..

وعندما بدأت الإمبريالية الأمريكية - بعد الحرب العالمية الثانية - في وراثة الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة - الإنجليزية .. والفرنسية .. والإيطالية - وأمسكت بزمام الحماية للكيان الصهيوني ، استخدمت هذا المصطلح - « الشرق الأوسط » - عنوانا على كل مشاريعها الاستعمارية - من « مشروع أيزنهاور » لملء الفراغ في « الشرق الأوسط » عقب حرب السويس سنة ١٩٥٦ م .. وحتى مشاريع « الشرق الأوسط الجديد » و « الشرق الأوسط الكبير » ، التي تسعى إليها اليمين الديني الأمريكي ، في ظل الحملة الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين ، بعد سقوط الشيوعية ومعسكرها سنة ١٩٩١ م ، وتوحد قبضة الغرب في مواجهة « الخطر الأخضر » - الإسلام - ! .

ومعروف كذلك ، أن هذا المصطلح - « الشرق الأوسط » - إنما يعبر عن فلسفة هيمنة « المركز الغربي » على « الأطراف » ، حتى لكأنها « العبيد والرقيق » التي تُسمى بالنسبة لموقعها من « السيد الغربي » .. فالشرق الأدنى ، هو « أدنى » في موقعه من « المركز الغربي » .. والشرق الأقصى ، هو « أقصى » في موقعه من « المركز الغربي » .. و « الشرق الأوسط » ، هو « أوسط » في موقعه من « المركز الغربي » .. فهو اصطلاح يجسد « تبعية الأطراف » للمركز الغربي المهيمن ! ..

لذلك ، كان هذا المصطلح - الشرق الأوسط - منذ نشأته الإنجليزية - وحتى هذه اللحظات ، عنواناً على المقاصد الإمبريالية الغربية ، التي تريد تحويل وطن العروبة وعالم الإسلام إلى « مجرد جغرافيا » ، مجردة من الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، كي تقبل هذه « الجغرافيا » الكيان الصهيوني ، وكى يتم صبغ هذه « الجغرافيا » بهوية التغريب والحدثة ، الصادرة من مركز الهيمنة الغربية إلى « الأطراف » ! .

ولأن هذه هي المقاصد الغربية - الصهيونية من وراء استخدام هذا المصطلح ، بديلاً عن مصطلحات « الوطن العربي » و « الشرق الإسلامي » ، كان الرفض لاستخدامه من قبل تيارات الوعي العربي والإسلامي ، وفي القلب منها القيادات المسيحية الوطنية والقومية التي أكدت - دائماً وأبداً - على أن انتماءها هو إلى العروبة الثقافية والقومية وإلى الإسلام الحضاري . الذي مثلته وتمثله الحضارة العربية الإسلامية ، التي أسهمت في بنائها ، وانتجت إليها كل شعوب الشرق الإسلامي ، على اختلاف أقطارها وتعدد دياناتها وأعراقها . .

وإذا شئنا نماذج لهذا الوعي الحضاري - العربي - الإسلامي - الذي صاغه وأعلنه قادة مسيحيون - علمانيون - وأكليروس - والذي أكد على « الهوية العربية الإسلامية » لكل شعوب الشرق العربي الإسلامي . . فإننا نقدم - للمفاتيح - كلمات :

١- الزعيم القبطي البارز مكرم عبيد باشا [١٨٨٩ - ١٩٦١م].
الذي كتب - سنة ١٩٣٩م - أي حتى قبل قيام جامعة الدول
العربية سنة ١٩٤٥م - يقول :

«المصريون عرب .. والوحدة العربية من أعظم الأركان
التي يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة في الشرق العربي ..
إنها حقيقة قائمة وموجودة ، ولكنها في حاجة إلى تنظيم
لتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة ..»^(١)

لقد استخدم مكرم عبيد مصطلح «الشرق العربي» ، ولم
يستخدم مصطلح «الشرق الأوسط» - الذي ابتدعه الاستعمار ..
ويتبناه الفاتيكان!

كذلك أعلن مكرم عبيد عن تزايل «العروبة» الثقافية والقومية
مع «الإسلام الحضاري» في تكوين هوية الشرق - بكل أبنائه
ودياناته - فقال كلماته الجامعة :

«نحن مسلمون وطنا ، ونضاري ديننا ، اللهم اجعلنا نحن
نضاري لك ، وللوطن مسلمين»^(٢)

٢- والمفكر الحضاري البارز الدكتور أنور عبيد الملك ، الذي
كتب يقول :

(١) مكرم عبيد - مجلة [الهلال] عدد إبريل سنة ١٩٣٩م .

(٢) صحيفة [الوفد] عدد ١٩٩٣/١/٢١م .

« منذ الفتح العربي الإسلامي دخلنا بالتدريج في إطار دائرة أسميناها ، منذ إنشاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ م ، الدائرة العربية ولكنها ، في الواقع ، هي دائرة الحضارة الإسلامية . . فالإطار الحضاري للإسلام يشمل المرحلة القبطية « أي المسيحية المصرية » ، كما أن لغتنا هي العربية ، لغة القرآن »^(١)

٣- والمفكر الحضاري الدكتور رؤوف نظمي ، الذي قال :
« الأمة مرجعيتها واحدة ، وهي الإسلام ، بما له من تراث وعقائد وأصول ، والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة ، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام ، وإذا كانت كونفوشيوسية ، فمرجعيتها الكونفوشيوسية . إن أغلبية الأمة مسلمون ، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التي لا تزال على مرجعيتها التاريخية ، على تراثها الحضاري ، وعلى عقيدتها .

وإذا كانت المرجعية الإسلامية هي مرجعية الجميع ، تنتهي المشكلة ، فالمطلوب هو أن يكون مشروعنا حضاريا ، من حضارتنا ، وحضارتنا إسلامية ، فالمطلوب أن يكون الإسلام هو المرجعية العامة للجميع »^(٢)

(١) مجلة [أخبار الأدب] عدد ٤١/٣٠ / ٢٠٠٠ م .

(٢) مجلة [مير الحوار] من ٤١ ، ٤٢ عدد خريف سنة ١٩٨٥ م - بيروت .

٤- والمفكر الدكتور غالى شكرى [١٩٣٥-١٩٩٨م] الذى كتب يقول :

« إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر .. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية .. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين .

صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى اليوم ، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات ، وأصبحت هى الانتماء الأساسى ، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع .. إننا نتمى - كمعرب من مصر - إلى الإسلام الحضارى والثقافى ، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق .. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقاً مع العقيدة الدينية .. بالعكس .. لماذا ؟ لأن الإسلام وحّد العرب ، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد^(١) .

● ومع هؤلاء المفكرين الحضاريين المسيحيين - الذين اخترنا مجرد نماذج منهم - وقف كثير من أهل الفكر من رجالات الأكليروس .

٥- فالأنبا موسى - أسقف الشباب فى الكنيسة الأرثوذكسية المصرية .. شهد فقال :

(١) صحيفة [الوفد] عدد ١/٢١/١٩٩٣م .

« من جهة الهوية العربية ، نحن مصريون عرقاً وليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى «إثني» ، لأننا مصريون ، وأتجاسر وأقول : كلنا أقباط ، يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة . . والثقافة الإسلامية هي السائدة الآن ، كانت الثقافة القبطية هي السائدة قبل دخول الإسلام^(١) ، وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية ، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة عليه ، بل هى جزء من مكوناته .

نحن نحيا العربية ، لأنها هويتنا الثقافية ، ومفتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية ، بالإضافة لوحدة المصير المشترك .

ومصر دائماً دولة مسلمة ، ومتدنية ، ولكن بدون تطرف . . ونحن نرفض المسيحية السياسية ، لأن المسيح قال : « مملكتى ليست بالعالم » . . ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية^(٢) .

٦- والأبنا يوحنا قلته - نائب البطريرك الكاثوليكي فى مصر - الذى أعلن انتماء المسيحيين الشرقيين إلى الحضارة الإسلامية ، وفخرهم واعتزازهم بهذا الانتماء - فقال :

(١) فى الحفلة كانت الثقافة النيبية اليونانية الغازية هي السائدة من الشرق قبل الإسلام

(٢) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملك والنحل والأعراق] ص ٥٢٥ - ٥٣٤ ملحة القاهرة سنة ١٩٩٠م

« أنا مسلم ثقافة مائة في المائة . . وكلنا مسلمون حضارة وثقافة . . أنا عضو في الحضارة الإسلامية ، كما تعلمتها في الجامعة المصرية . . تعلمت أن النبي ﷺ سمح لمسيحي اليمن أن يصلوا صلاة الفصح في مسجد المدينة . . إنها الحضارة الإسلامية التي تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحي . . والتي تعلو من قيمة الإنسان خليفة عن الله في الأرض . . »

وإنه ليشرفني ، وأفخر أنسى مسيحي عربي ، أعيش في حضارة إسلامية . . وفي بلد إسلامي ، وأساهم وأبني مع جميع المواطنين هذه الحضارة الرائعة^(١) .

تلك هي الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، لبلادنا - وطن العروبة وعالم الإسلام - الشرق العربي الإسلامي - كما آمن بها ، وانتمى إليها ، وأعلن عنها هؤلاء المفكرون اللامعون ، من أبناء المسيحية الشرقية ، التي هي مكوّن بناء في هذه الحضارة العربية

(١) الأنبا يوحنا قلته - من حوار دار غقب محاضرة لي - عنوانها « أثر البعد الديني في الاشتراك في العمل العام » دعت إليها لجنة مباحية ، ممثلة لكل الطوائف ، هي « اللجنة المصرية للعائلة والسلام » . وكان جمهور المحاضرة نخبة من الطوائف المسيحية . . ولقد عقدت الندوة بفندق الحرية - بعصر الجديدة - في ١٦/٩/١٩٩١م - انظر كتابنا [الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٨ م .

الإسلامية . . اجتمع على هذا الموقف . . وعلى هذا الانتماء العلمانيون والأكليروس على حد سواء . .
أما هذا الذي زعمته « ورقة العمل » الفاتيكانية ، فهو ردة على موقف المسيحية الشرقية . لحساب الموقف الإمبريالي الغربي ، الذي يريد بلادنا مجرد جغرافيا ، بلا هوية حضارية ، لتستند فيها إسرائيل ، وتستورد هوية لقيطة ، لا علاقة لها لا بالعروبة ولا بالإسلام !

● ورابع هذه المقدمات : حول حديث هذه الوثيقة الفاتيكانية عن العلاقة « الكاثوليكية - اليهودية » . .

فعلى الرغم من عدم اعتراف اليهودية بالمسيحية ، ومن موقف التراث الديني اليهودي من المسيح - عليه السلام - ومن أمه - مريم العذراء - عليها السلام - . . وهو الموقف الذي يبلغ - فى الإساءات - الحد الذى يجعل القلم يعف عن ترديد فحشه وتجاوزاته . . والذى يجعلنا نكتفى بإشارات قليلة لهذا الموقف اليهودي من المسيحية والمسيح ، لإظهار المفارقة العجيبة فى موقف الفاتيكان من اليهودية . .

● فى الأوساط اليهودية - التى تحدثت معاهدة الفاتيكان مع إسرائيل فى ١٩٩٣/١٢/٣١ م عن « العلاقة الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودي » . . والذين يسميهم الفاتيكان

« الإخوة الكبار .. والإخوة الأعزاء » - فى هذه الأوساط اليهودية ، أصبح من العادات الشعبية المألوفة : البصق ثلاث مرات عند مشاهدة كنيسة أو صليب ، مع ذكر الآيات التوراتية التى تشتم الأغيار وتسبهم .. من مثل : « فلتحتقرهم كلياً وتمقتهم » - سفر التثنية ٢٦ : ٢٦ - ..

● وينص التلمود على أن عقوبة يسوع فى الجحيم هى إغراقه فى غائط يغلى !! .. وفى « مشناة تورا » - [الشروح الشفوية للتورا] - التى دونها موسى بن ميمون [١١٣٥ - ١٢٠٤م] ولخص فيها التلمود - فى هذه الشروح يقول اليهودى - كلما سمع اسم يسوع - : « أهلك الله الاسم الشرير .. وفليبلى الاسم الشرير ، يسوع الناصرى وتلامذته » !!

● وفى التلمود ، أمر لليهود بإحراق أى نسخة من الإنجيل ، علانية إذا أمكن .. وفى الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٨٠م أحرقت مئات النسخ من الإنجيل ، بصورة احتفالية بمدينة القدس ، تحت رعاية المنظمة الدينية اليهودية « يادلعازيم » التى تتلقى المعونات المالية من وزارة الشؤون الدينية الإسرائيلية^(١) !!

(١) إسرائيل شاجاك [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ - ترجمة : حسن خضر طبعة دار مبنا - القاهرة سنة ١٩٩٤م .

على الرغم من هذا الموقف اليهودى - الثابت والشائع - من المسيحية ورموزها ومقدساتها . . فإن هذه الوثيقة الفاتيكانية قد أفردت للعلاقات الكاثوليكية مع اليهودية واليهود ضعف المساحة التى أفردتها للعلاقة مع المسلمين! . . ولم يقف الأمر عند « المساحة » وإنما تعدى ذلك إلى طبيعة ونوع العلاقات . .

● فالعلاقة لا تقف - فقط - عند « اليهود » ، وإنما تتعداهم لتشمل « اليهودية » أيضاً - . فالبنـد ٨٥ - من الوثيقة الفاتيكانية - مخصص للحديث عن « الأساس اللاهوتى للعلاقة باليهودية » - كما يخص اليهود بشرف الانتساب إلى أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - عندما يخصهم « بالمكان الملحوظ لشعب نسل إبراهيم »! . .

● وفى البنـد ٨٦ - عندما تصف هذه الوثيقة المسيحيين بأنهم « شعب الله » ، تجعل حملهم لهذا الشرف امتداداً لليهود ، شعب الله المختار ، فتقول :

« شعب الله هو شعب العهد الجديد فى استمرارية لشعب العهد القديم . . »!

وتؤكد - الوثيقة - هذا المعنى وهذا الامتياز اليهودى - فى البنـد ٨٦ - الذى يتحدث عن : الشعوب المتجهة نحو شعب الله :

« أولهم ذلك الشعب الذى نال العهود والموااعد ، ومنه ولد المسيح بحسب الجسد » .

كما يشير - هذا البند - إلى « اهتمام الكنيسة واستعدادها الطيب فى علاقاتها مع اليهودية » .

● وفى البند ٨٧ تشير « ورقة العمل » هذه إلى « الوثيقة المجمعية الثانية » كلمة الله ، التى تعتبر العهد القديم بمثابة تهيئة للإنجيل ، وكجزء لا يتجزأ من تاريخ الخلاص . . . وتبين الأهمية التى يشغلها الشعب المؤمن على العهد الأول بالنسبة للكنيسة . وتعنى هذه الرؤية الأساسية ، كم هو جوهرى للكنيسة . الحوار مع الإخوة الأكبر !! . . . حتى ولو لم يكن هذا الحوار سهلاً : -

● وفى البند ٩١ - تتحدث الوثيقة الفاتيكانية عن : « شوق المؤمنين - [الكاثوليك] - ورعاتهم إلى فتح باب الحوار مع اليهودية . . . والصلاة المشتركة . . . انطلاقاً من المزامير وقراءة وتأمل نصوص الكتاب المقدس ، فالصلاة تخلق لدى الطرفين استعداداً طيباً ، يسمح باستدعاء روح الله ، لطلب مواهب السلام ، والاحترام المتبادل ، والمصالحة ، والصفح المتبادل ، والعون المتبادل ، لإقامة علاقات دينية جيدة » .

● وعلاوة على كل هذا الشوق إلى كل هذه الآمال - التى لا تجد ، بالطبع ، أى تجاوب من قبل اليهودا . . . ينشئ البند ٩٣ - من

هذه الوثيقة - « على رغبة التعمق فى التقاليد اليهودية ،
بدراسة جادة من الناحية التاريخية واللاهوتية ، خاصة على
المستوى الجامعى فى الكليات اللاهوتية » .

ولتحقيق كل هذه المهام . . . والأمال . . . والأشواق الكاثوليكية
فى العلاقة اللاهوتية مع شعب الله المختار : المؤمن على العهد
الأول . . نسل إبراهيم . . الشعب الذى نال العهد والمواعيد . .
الإخوة الأكبر . . والإخوة الأعزاء . . لتحقيق هذه الأمال ، أقام
الفاتيكان خمس مؤسسات تحدث عنها البندان ٨٨ ، ٩٤ - وهى :

- ١- مجلس الأديان للمؤسسات الدينية - فى مدينة القدس . .
 - ٢- ولجنة الحوار مع اليهود ، فى بطريركية القدس الدينية .
 - ٣- ولجنة الحوار على مستوى الكرسي الرسولى مع الرابينة
الكبرى لإسرائيل .
 - ٤- ولجنة العلاقات الدينية مع اليهود .
 - ٥- ونيابة بطريركية للمسيحيين الناطقين باللغة العبرية .
- وإذا كان مفهومنا - وطبيعياً - أن « تشجب » الوثيقة - فى البند
٩٠ - « المعاداة للسامية » - حتى بالمعنى الشائع فى الغرب -
الذى يساوى بين اليهود وبين السامية - مخرجاً الشعوب
السامية من هذا الإطار !! . .

إذا كان هذا مفهوماً - في وثيقة صادرة عن الفاتيكان تخطط لرعاياه الشرقيين - فإن الكارثة ، والمأساة الملهية ، هي تبرؤ الكنيسة الكاثوليكية من « معاداة الصهيونية » !! - التي اغتالت الأرض المقدسة - أرض المسيح - واقتلعت المسيحيين - مع المسلمين - من ديارهم . . . ففي هذا البند - ٩٠ - تقول الوثيقة الفاتيكانية :

« إن جميع الأوساط الكنسية في الشرق الأوسط قد تخطت روح العداء لليهودية . . . وإن العداء للصهيونية هو موقف سياسي ، وبالتالي ينبغي النظر إليه على أنه خارج كل خطاب كنسي » !!
أي أنها تطلب استبعاد معاداة الصهيونية من كل الخطابات الكنسية . . . وكأن معاداة الصهيونية رجس من عمل الشيطان ، يجب أن يتطهر منه الخطاب الكنسي ، الذي يريده الفاتيكان حتى من الكنائس الشرقية التي أدخلتها الصهيونية - في بلد المسيح - إلى نفق مظلم ومسدود ! . . .

إنه الغرام المتبتل في محراب اليهودية . . . والعاشق للمحوار مع اليهود . . . شعب الله المختار . . . نسل إبراهيم الخاص . . . المؤتمن الأول على العهود والمواعيد . . . الإخوة الأكبر . . . والأعزاء . . .
مع البراءة من العداء للصهيونية - التي تمارس الفصل العنصري ضد المسلمين والمسيحيين - والتي أدانتها الأمم المتحدة سنة ١٩٧٤م كشكل من أشكال العنصرية . . .

هكذا فكر الفاتيكان . . وهكذا أراد فرض هذا الفكر على
كنائسه - المستقلة ذاتياً . . كما يقول - في فلسطين والمشرق
العربي الإسلامي . . .

● وخامس هذه المقدمات : حول ما جاء في هذه الوثيقة عن
علاقة الكاثوليكية مع المسلمين -

● لقد تحدثت - في البند ٩٥ - عن « التقدير للمسلمين » .
وليس للإسلام ! .

● وعن الاعتراف بالمسلمين . . وليس بالإسلام !

● وبعد أن تحدثت عن الاتفاق مع اليهودية في اللاهوت . .

أعلنت الاختلاف العميق مع الإسلام في العقائد والأصول !

● وأصرت على التنصير للمسلمين - الذين يعترفون

بالمسيحية ، ويعظمون رموزها - مع الامتناع عن التنصير

لليهود - الذين ينكرون المسيحية ، ويلعنون رموزها - ! .

● وفرت أنه لا صعوبات في الحوار مع اليهودية - التي لا تعترف

بالمسيحية - بينما تحدثت - في البند ٩٦ - عن الصعوبات في

الحوار مع المسلمين - فضلاً عن الإسلام - ! .

● وعلقت التعايش مع المسلمين على علمنة الإسلام

والمجتمعات الإسلامية . . متجاهلة غرابة - بل وشذوذ - تعليق

التعايش مع الأغلبية على تنازل الأغلبية عن ذاتها وأصولها .

والأفهل يجوز للمسلمين - مثلاً - أن يعلقوا التعايش مع
المسيحيين على التنازل عن التثليث ١٩ .

إن أى تعايش راسخ الأركان بين أى منظومات أو أنساق
فكرية أو دينية أو سياسية ، إنما يقوم على الاعتراف المتبادل
والقبول المتبادل والاحترام المتبادل بين فرقاء هذه المنظومات
والأنساق . . اعتراف الجميع بالجميع . . مع اختصاص كل فريق
بشريعته أو برنامجه فى الإصلاح . . والمشكل فى واقعنا الدينى
هو أن الأقلية لا تعترف بدين الأغلبية - كدين سماوى . . بل
وتريد من الأغلبية التنازل - بالعلمنة - عن ذاتها وأصولها !!

● كما تذهب هذه الوثيقة - فى البند ٩٦ - إلى الغمز واللمز
حول « أقدمية » وجود المسيحية قبل الإسلام! . . مع تجاهل
أن الوثنية وعبادة العجل آيس هى أقدم من الديانات السماوية
الثلاث! . . وأن الإسلام يرتب توالى الشرائع والنبوات - منذ
آدم وإلى محمد - عليهم السلام - كدرجات صعدتها البشرية
على سلم الإيمان ، حتى جاءت الشريعة الخاتمة المؤتمنة
بالكل ، وانتهى لا تفرق بين أحد من رسل الله! . .

● وكذلك ذهب الوثيقة - فى ذات البند - ٩٦ - إلى الغمز واللمز
بالإشارة إلى ما أسمته « جنور » الإسلام فى الوسط اليهودى
والمسيحى . . مع أن حديثها عن الاختلافات العميقة فى

الأصول بين الإسلام والمسيحية بنفى الحديث عن هذه الجنود !» .

• كما تدعو هذه الوثيقة - فى البند ٩٨ - إلى مراجعة الكتب الدينية فى مناهج التعليم بالبلاد الإسلامية « لتنتقيتها » - كما تقول - « من الأحكام المسيقة والصور النمطية عن الآخر » .. متجاهلة أن الصور النمطية الإسلامية عن المسيحية تعظم رموز المسيحية واليهودية وكل النبوات والرسالات ، وتعترف بكل الكتب السماوية ، وكل الشرائع الدينية ، وتعترف بالمسيحية ديناً سماوياً ، وتقول عن إنجيل المسيح - عليه السلام - إن فيه هدى ونوراً .. بينما الصور النمطية لليهودية واليهود عن المسيحية وعن الإسلام .. وكذلك تصورات المسيحية والمسيحيين عن الإسلام ، هى الإنكار والاستنكار والإقصاء والإلغاء والانتقاص - بل وحتى الإهانة والازدراء للرموز الإسلامية! .. حتى ليحق لنا أن نتساءل :

- من يعترف بمن ؟ .. ومن ينكر من ؟!

- ومن يحترم من ؟ .. ومن يزدري من ؟!

نعم .. تلك هى الأفكار الرئيسية لما جاء بهذه الوثيقة الفاتيكانية خاصة بالعلاقة مع المسلمين .. وهى أفكار تنطلق ، فى جوهرها ، من عبارات البابا بنديكطس السادس عشر التى قال

فيها عن دين الإسلام - دين التوحيد الخالص والتنزيه الكامل -
أغرب وأعجب ما يمكن أن يقال . . قال :

« إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية
والمسيحية ، لا ينتمى إلى الوحي نفسه الذى تنتمى إليه
اليهودية والمسيحية »^(١)

لقد نسى عظيم الفاتيكاني أن يسأل نفسه :

- أين هو التوحيد عند الذين جعلوا الله خاصا بقبيلة من
القبائل ، وجعلوا للشعوب الأخرى الهتها ؟ . .

- وأين هو التوحيد عند الذين جعلوا « الآب » - كما هو
الحال فى الوثنية الأرسطية - مجرد محرك أول للعالم . . حركه . .
وانقطعت علاقته برعايته وتدبيره « ليتولى الخلق والرعاية والتدبير
« اللوجس » - العقل الأول - الكلمة - الابن يسوع « خالق كل
شئ » الذى به كان كل شئ ، وبدونه لم يكن شئ ، وهو
الآلف والياء ، والبداية والنهاية ، والأول والآخر . .

- يوحنا ١ : ٢ - ٣ - « رؤيا يوحنا ٢٢ : ١٣ -

(١) صحيفة « لوموند » - الفرنسية - من مقال للكاتب « هنري تيك » - نقلاً عن :
الدكتور عمار الطالبي - صحيفة [البصائر] - الجزائرية - فى ١٠/٧/٢٠٠٦ م .

نعم . . لقد أعادت هذه الوثيقة - فى البند ٩٦ - إثبات ما قاله
بنديكتوس السادس عشر عند زيارته للأراضي المقدسة - فلسطين -
فى مايو سنة ٢٠٠٩م - عندما قال للمسلمين الفلسطينيين :
« بالرغم من أصولنا المختلفة ، لنا جذور مشتركة . . نشأ
الإسلام فى وسط كانت فيه اليهودية ، وكذلك فروع مختلفة
من المسيحية . . كما أن التراث العربى المسيحى له أهمية
خاصة فى الحوار مع المسلمين ، ويجب تنميته - [أى التراث
المسيحى] - بدرجة أكبر ! » .

كما طالبت الوثيقة - فى البند ٩٦ - المسلمين أن يغيروا
إسلامهم ، وذلك بقطع علاقاته بالسياسة - وعلمنته - لأن « هناك
غالباً صعوبات فى العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ،
خاصة بسبب أن المسلمين لا يفصلون بين الدين والسياسة » .
الأمر الذى يذكرنا بتصريح المتحدث باسم الفاتيكان ، تعليقاً
على دعوة ١٣٨ عالماً مسلماً الفاتيكان للحوار ، وصولاً إلى
كلمة سواء . . عندما قال :

- إن الحوار مع المسلمين صعب ، لأنهم يؤمنون أن القرآن
من عند الله !! . .

لقد اتخذت هذه الوثيقة موقف الإقصاء للإسلام . عندما قطعت
- فى البند ٩٩ - « بأن عقائدنا مختلفة اختلافاً عميقاً » . قالت

ذلك عن الإسلام الذي يعترف بالمسيحية ويعظم رموزها . بينما
أسرفت في التودد لليهودية واليهود ، إلى الحد الذي تبرأت فيه من
معاداة الصهيونية التي اغتصبت وطن المسيح عليه السلام . .
والزمت بذلك المسيحيين العرب والفلسطينيين ضحايا هذه
العنصرية الصهيونية! .

تلك هي نظرة هذه الوثيقة الفاتيكانية للعلاقة المسيحية
بالمسلمين ، الذين يمثلون البحر المحيط بالقطرة المسيحية
الشرقية التي تعيش فيه! .

الفاتيكان والقضية الفلسطينية

في هذه الوثيقة الفاتيكانية - التي تحدثت كثيراً عن العدالة والسلام - والتي نصت - في البند ٣٦ - على أنه «لا يوجد تعارض بين حقوق الإنسان وحقوق الله» . . .

في هذه الوثيقة لا يجد الإنسان أنراً للعدالة - البشرية . . أو الإلهية - ولا أنراً لحقوق الإنسان الفلسطيني - الذي اغتصبت أرضه . . ودنس مقدساته - منذ ما يزيد على السنين علماً . . !

● فلا كلمة واحدة عن القدس ، التي تجهز الصهيونية اليوم على عروبتها - الضارية في عمق التاريخ الثنين وستين قرناً - من الألفية الرابعة قبل الميلاد وحتى الألفية الثالثة للميلاد . . .

● ولا كلمة واحدة عن اللاجئين الفلسطينيين ، الذين يكونون أكبر كتلة من اللاجئين على النطاق العالمي . . والذين قررت الشرعية الدولية - بالقرار الأممي ١٩٤ - حقهم في العودة إلى وطنهم . . بينما تجاهل الفاتيكان ذلك ، حتى لا يفضب «الإخوة الأكبر . . والأعزاء» ! . .

● ولا كلمة واحدة - في هذه الوثيقة - عن ضرورة إنهاء الاحتلال الصهيوني للأرض - التي حددها القرار الأممي ١٨١ لسنة ١٩٤٧م - للدولة العربية الفلسطينية . . بل ولا حتى الجلاء

عن الأرض التي احتلتها إسرائيل في عدوان يوليو سنة ١٩٦٧م...

● ولا كلمة واحدة - في هذه الوثيقة - عن المقدسات الإسلامية المهددة بالهدم في القدس... ولا التي تم الاستيلاء عليها - بتقسيمها... أو ضمها للتراث اليهودي - في الخليل وبيت لحم؛ وغيرهما من المدن الفلسطينية... ولا عن تقييد حرية العبادة - حتى العبادة - للمسلمين في الحرم القدسي الشريف... ولا عن طرق المساجد والمصاحف في العديد من مدن الضفة الغربية وقراها.

● وتبلغ هذه الوثيقة ذروة الخيانة لحقوق الشعب الفلسطيني - مسلميه ومسيحييه - عندما تطلق - هذه الوثيقة - الأسماء الصهيونية على الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية فتسميها - في التقديم ص ٣ - :
« اليهودية والسامرة » !!

أى هكذا - والله - بلغت هذه الوثيقة الفاتيكانية - التي تشرع للمسيحيين الشرقيين - وللكاثوليك منهم على وجه الخصوص ! - - -

● ثم تذهب هذه الوثيقة لتكرس ضياع القضية الفلسطينية عندما تدّين المقاومة للاحتلال ، وتسميها « عنفا » ، وتسوى بين عنف الظالم المحتل ، وعنّف المظلوم الذي يقاوم الاحتلال !

• • •

- فبعد أن نسيت هذه الوثيقة الفاتيكانية ذكر مدينة القدس المحتلة - التي اعتبرها الفاتيكان .

- بمناسبة سنة الفداء - في ٢٠/٤/١٩٨٤ م - شعار الدولة اليهودية!! . .

- وبعد أن نسيت - هذه الوثيقة - أكثر من عشرة آلاف أسير فلسطيني - بينهم نساء وأطفال ولدوا في السجون الإسرائيلية - . .

- وبعد أن نسيت - هذه الوثيقة - الحرب القذرة التي شنها الصهاينة على غزة - ديسمبر سنة ٢٠٠٨ م - يناير سنة ٢٠٠٩ م - والتي استخدم فيها الصهاينة الأسلحة المحرمة دوليًا . . والتي ارتكبوا فيها الجرائم ضد الإنسانية . . والإبادة للمدنيين العزل - وفق ما قرره القاضي اليهودي «جولد ستون» والمجلس الأممي لحقوق الإنسان - . .

وكذلك الحرب التي شنها الصهاينة على لبنان - واستخدموا فيها اليورانيوم المنضب والفسفور الأبيض - في يوليو سنة ٢٠٠٧ م - . .

- وبعد أن نسيت - هذه الوثيقة - اللاجئين الفلسطينيين الذين تجاوز عددهم السبعة ملايين! . .

- وبعد أن نسيت قرارات الشرعية الدولية حول إنهاء الاحتلال ، وتصفية الاستعمار ، وتحريم وتجريم تغيير المحتل لطبيعة وهوية الأرض المحتلة وسكانها . .

- وبعد أن نسبت الامتيطان الصهيوني ، الذي ابتلع القدس وقرابة نصف الضفة الغربية . . كما استولى على المياه . . وجرف الأشجار في الأرض المقدسة . .

- وبعد أن نسبت جدار الفصل العنصري - الذي أدانت إقامته محكمة العدل الدولية - والذي حول حياة الإنسان الفلسطيني إلى قطعة من العذاب ، بتقطيعه أوصال القرى ، وحتى العائلات . .

- بعد أن نسبت هذه الوثيقة الفاتيكائية كل ذلك . . وتجاهلت كل ما له علاقة بالعدالة . . ذهبت إلى رفض مقاومة مظالم الاحتلال ، وأدانت سلوك طريق التحرر الوطني لإنهاء الاحتلال الصهيوني . فأنكرت على المظلومين الرازحين تحت الاحتلال حقهم المشروع ، وفق القوانين الدولية والشرائع السماوية ، في انتزاع أرضهم وحريتهم ومقدماتهم من برائن الاحتلال! نعم . . ذهبت هذه الوثيقة الفاتيكائية إلى هذا الموقف الغريب والعجيب والمريب . . وذلك عندما قالت - في البندين ١٠٢ ، ١١٢ - :

« إن من واجبنا أن نشجب العنف بشجاعة من أى طرف يصدر . . في هذه الظروف تقوم مساهمة المسيحي في أن يقدم ويعيش قيم الإنجيل ، وأيضاً في قول الحق في وجه الأقوياء الذين يقتربون الظلم . . وكذلك في وجه من يجاوبون على الظلم بالعنف . . إن عنف الأقوياء والضعفاء على السواء ، قاد منطقة الشرق الأوسط إلى فشل متكرر ، وإلى مأزق عام »

- [ولقد تكررت إدانة عنف الضعفاء المظلومين - أي
مقاومتهم من أجل التحرر - بهذه الوثيقة الفاتيكانية - في البند
١٠٠ أيضاً] - .

● فهل مهمة المسيحي الشرقي - التي يحددها له الفاتيكان - هي
التسوية بين عنف الظالم المحتل ، المغتصب للأرض والعرض
والمقدسات ، وبين عنف المظلوم الذي يسلك سبيل المقاومة
لتحرير وطنه ومقدساته؟

وهل المطلوب من الفلسطينيين ترك مقاومة الاحتلال ، في
«مجتمع دولي» تتحكم فيه القوى العظمى التي صنعت وترعى
مأساة اغتصاب وطنهم فلسطين؟

● وهل صحيح ما يقوله الفاتيكان من أن خبرة الشرق هي فشل
المقاومة المسلحة كطريق للتحرر الوطني؟
إذن . . .

- بماذا تحررت مصر من الاستعمار الإنجليزي . . . ومن
العدوان الصهيوني ؟ . .

- وبماذا تحررت الصين ؟ . .

- وبماذا تحررت فيتنام ؟ . .

- وبماذا تحررت الجزائر من استعمار فرنسا الكاثوليكية ؟ ! .

- وبماذا تحررت ليبيا من استعمار القاشية الإيطالية
الكاثوليكية؟ . .

- وبماذا تحررت كينيا من الاستعمار الإنجليزي ؟
- وبماذا تحررت إريتريا من الاحتلال الأثيوبي الأرثوذكسي ؟
- وما الذي جعل الأمريكان - وحلفاءهم الغربيين - يفكرون - هم والمنصرون - في الانسحاب من أرض العراق ؟
- ولماذا اضطر الجيش الصليبي الأثيوبي إلى الانسحاب من الصومال ؟
- ولماذا انسحب السوفييت من أفغانستان . . ويفكر الأمريكان - وحلف النيتو - الآن بالانسحاب - هم والمنصرون - ؟
- هذا عن قصة الشرق مع المقاومة لتحرير الأوطان . .
- أما عن قصة الغرب - أيضاً - مع هذا الطريق للتحرور الوطني - فهلا سأل الفاتيكان نفسه :
- وبماذا تحررت فرنسا الكاثوليكية من الاحتلال النازي - الذي كان بنديكتوس السادس عشر عضواً في شبيبة حزبه النازي - ؟ !!
- وبماذا تحررت أمريكا الشمالية من الاستعمار الإنجليزي ؟
- وبماذا تحررت كثير من بلاد أمريكا الجنوبية من الاستعمار الأسباني ، الذي كانت تباركه كنيسة الفاتيكان ؟
- إن الفاتيكان ، عندما يدعو المسيحيين الشرقيين إلى أن يكونوا خصبواً للمقاومة في سبيل تحرير أوطانهم من الاستعمار

والاحتلال .. إنما يدعوهم إلى « خيانة » أوطانهم ، بالانسحاب
من الجهاد الوطنى للشعوب التى هم جزء أصيل فيها ..
فإذا هم استجابوا « لوصفة » الفاتيكان ، وانسحبوا من نضال
شعوبهم للتحرر الوطنى ، ومقاومة الاحتلال .. واستجابوا
- كذلك - « لوصفة » الفاتيكان بالتنكر لائمتائهم الحضارى -
العربى الإسلامى - فهل يجوز - بعد ذلك - التباكى على عزلتهم ..
وعلى هجرتهم من البلاد؟! ..

إن هذه « الوصفة » الفاتيكانية ، إنما تدعو المسيحيين الشرقيين
إلى « خيانة » واجباتهم الوطنية الراهنة .. وإلى التنكر لتاريخهم
الوطنى فى مقاومة الاستعمار ، عندما شاركوا فى مقاومته
- السياسية والمسلحة - مع إخوانهم المسلمين - على امتداد تاريخ
الشرق فى مقاومة الاستعمار - ! ..

والفاتيكان - بهذه الدعوة - التى تسعد الكيان الصهيونى ..
وتمكنه من ابتلاع الأرض العربية التى يحتلها - إنما يتنكر للقانون
الدولى ، الذى يشرع للمقاومة كسبيل للتحرر الوطنى وتصفية
الاستعمار .. وللشرائع السماوية ، التى تنهى عن السكوت على
العدوان والاعتصاب وعن الرضى بالظلم ، والتفريط فى الحقوق
- التى هى حقوق لله وهبها للإنسان - كى يحافظ عليها ، لا ليفرط
فيها ..

- وإذا كانت الوثيقة الفاتيكانية - التي تتحدث عن الشرق الأوسط - قد قالت - في البند ١١٢ - وفي بنود أخرى - : « إن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني هو محور الصراعات في الشرق الأوسط » . فلم لم تشر - هذه الوثيقة - إلى الصراعات الإسرائيلية ضد بلاد شرق أوسطية ، احتلت إسرائيل أرضها . . وشتت الحروب العدوانية على شعوبها - بمن في هذه الشعوب من المسيحيين الشرقيين - ؟ . .
- إن للبنان - وفيه المسيحيون التابعون للكاتوليكية - أرضاً محتلة من قبل إسرائيل . .
- وإن لسوريا - وفيها المسيحيون - أرضاً محتلة من قبل إسرائيل . .
- وإن مصر - وفيها المسيحيون - قد تعرضت مراراً لعدوان إسرائيل ولاحتلالها أرضاً مصرية . .
- وإن العراق - وفيه مسيحيون - قد تعرض لعدوان إسرائيلي على مفاعله النووي سنة ١٩٨١ م . . وهو محتل الآن من قبل الأمريكان وحلفائهم الغربيين .
- فلم لم تشر هذه الوثيقة الفاتيكانية - التي تتحدث عن الشرق الأوسط - إلى الحروب والاعتداءات الإسرائيلية خارج أرض فلسطين . . وعلى امتداد « الوطن التوراتي » - من النيل إلى الفرات !

● ثم . . أليست أفغانستان - التي تدمرها أمريكا وحلف النيتو - من الشرق الأوسط؟! . . فلم لِمَ تشر إلى مأساتها وثيقة الفاتيكان الشرق أوسطية؟! . .

● وأين يضع الفاتيكان منطقة القوقاز ، التي احتلتها القيصرية الروسية منذ مئات السنين؟! . .

إن هذه الوثيقة الفاتيكانية - مع الأسف الشديد . . والأسى العميق - إنما تفتح أبواب الخيانة الوطنية أمام المسيحيين الشرقيين! . . ونحن على ثقة كبيرة بأن العقلاء في هؤلاء المسيحيين - وهم كثيرون والحمد لله - لن يقبلوا تجرع هذا السم الفاتيكاني المميت! .

هجرة المسيحيين الشرقيين

تحتل قضية هجرة المسيحيين الشرقيين من بلادهم ، وتوطنهم فى أوروبا وأمريكا وأستراليا ، حيزاً كبيراً فى هذه الوثيقة الفاتيكانية ، حتى لقد زادت البنود التى تحدثت عن هذه القضية عن عشرة بنود . .

● فى البند ١٩ تقول الوثيقة :

« . . ومن المؤكد أن ضعف المسيحية حيث ولدت ، وكم بالأكثر تلاشيها ، هو خسارة للكنيسة الجامعة »

ونحن نقول للفاتيكان : إن ضعف المسيحية الشرقية ، وهجرة أبنائها ، وتلاشيهم ، ليس خسارة للكنيسة الكاثوليكية - التى تسمى نفسها « الجامعة » ! - بقدر ما هو خسارة للحضارة الإسلامية ، التى شارك هؤلاء المسيحيون الشرقيون فى بنائها ، وانتموا إليها . . بل إن تلاشى هؤلاء المسيحيين الشرقيين هو خسارة للإسلام ، الذى يعد التعددية الدينية مئة من مئة من سنن الله التى لا تبدل لها ولا تحوّل . . فالتعددية - فى الرؤية الإسلامية - حافز من حوافز الحراك والتدافع الفكرى والاجتماعى ، ومن ثمّ فهى طاقة محرّكة على طريق التجدد والإبداع والتسابق على دروب الخيرات .

لكن الحقيقة التي تجاهلتها هذه الوثيقة الفاتيكانية هي
تشخيص الأسباب الموضوعية لهجرة المسيحيين الشرقيين . .

● إنها تعزو - في البند ١١٨ - هجرة المسيحيين من الأراضي
المقدسة - فلسطين - إلى عدم حسم الصراع الإسرائيلي -
الفلسطيني . . وهي تتجاهل أن هذا الصراع يطال قهره
المسلمين والمسيحيين على السواء - بل ربما نال المسلمين منه
الحظ الأوفى والأوفر . . فلماذا يهاجر المسيحي الفلسطيني ،
ويترك وطن المسيح والمسيحية ، ولا يهاجر المسلم من
الأرض المباركة . . أرض الإسراء والمعراج ؟

إن المسلم الفلسطيني يهجر ، ولا يهاجر! . . وحتى عندما
يهجر ، ويُقتل من دياره ، تظل قضية العودة إلى وطنه حبة في
عقله ، مشتعلة في وجدانه ، يهبها حياته ، ويورثها لأولاده ، الذين
يتوارثون مفاتيح البيوت التي هجروا منها ، وذكريات الوطن
الحبيب السليب الذي اقتلعوا منه . .

إن الحقيقة ، التي تجاهلتها الوثيقة الفاتيكانية - والتي تدفن
ترجعات هذه الوثيقة - تقول :

إن المسيحية الشرقية عندما كانت تشارك في ثورة أحمد
عرابي [١٢٥٧-١٣٢٩هـ ١٨٤١-١٩١١م] سنة ١٨٨٢م
وثورة سنة ١٩١٩م بقيادة سعد زغلول [١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ
١٨٥٧ - ١٩٢٧م] وفي حركات التحرر الوطني بالشرق . .
وعندما كانت تنتمي للهوية العربية الإسلامية ، لم تضعف . .

ولم يهاجر أبناؤها . . ولم يتهددها التلاشى والانقراض . .
لكن انقلاب قطاعات من أبناء هذه المسيحية الشرقية على
الهوية الحضارية لبلادهم ، وانسحابهم من مواجهة التحديات -
تبعاً لتوجيهات الوثيقة الفاتيكانية - هو الذى أحدث لهذه
المسيحية الشرقية الضعف ، وهددها بالتلاشى والانقراض .
فالسّمك عندما يخرج من الماء لا بد أن ينفق ويموت ! . .
والانتماء الحضارى ، والمشاركة فى مواجهة التحديات مع
جموع الأمة ، هو - بالنسبة لكل الجماعات والطبقات -
« الحاضنة » التى تضمن التنفس والحياة والنماء . . كالماء
بالنسبة للسّمك سواء بسواء ! . .

ولقد عبر عن هذه الحقيقة المفكر القومى ، والأبى البار
للمسيحية الشرقية ميشيل عفلق [١٩١٠ - ١٩٨٩م] عندما تحدث
عن الانتماء الحضارى العربى الإسلامى باعتباره « الحاضنة
الجامعة » للمسيحيين الشرقيين . . وعن أن ضعف هذا الانتماء
- بالطائفية . . وبالتغريب - هو سبب المشكلة - التى تدور من
حولها ، دون أن تلمسها - وثيقة الفاتيكان . . لقد قال ميشيل عفلق :
« لقد غذى الاستعمار قطاعات من الأقليات المسيحية
« بأفكاره الخاطئة » . . ولقد أحدثت المدارس الأجنبية
والمدارس التبشيرية - على امتداد قرن كامل - تشوهاً ثقافياً ،
بما نفشت من سموم فى تلك الأوساط . . حتى خلقت تياراً

انعزالياً ذا وعى وشعور منحرف ، يزعم أنه غير عربى ،
ويسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام .

إن الفروق الطائفية أبعدت قسماً هاماً من العرب عن روح
بلادهم وتقاليدها ، وجعلتهم شبه غرباء فى وطنهم ،
وأضعفت ، بالنتيجة مساهمتهم فى الحركة القومية .

ونحن نريد أن تستيقظ فى المسيحيين العرب قوميتهم
يقظتها التامة ، فيروا فى الإسلام ثقافة قومية لهم ، يجب أن
يتشبعوا بها ويحبوها ، لأنه متصل بطبعتهم وتاريخهم ، لأنه
الميدان الذى برهن فيه العرب على كفاءتهم فى تسامى الروح
وخصب الفكر وقوة الأخلاق . . وسوف يعرف المسيحيون
العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ،
ويسترجعون طبعتهم الأصلية ، أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية ،
يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها ، فيحرصوا على
الإسلام حرصهم على أئمن شيء فى عروبتهم . .

وإذا كان الواقع لا يزال بعيداً عن هذه الأمنية ، فإن على
الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجسارة
وتجرد ، مضحين فى سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع ، إذ
لا شيء يعدل العروبة وشرف الانتساب إليها . . .^(١)

(١) ميشيل عفلق [فى سبيل البعث] ج٢: ص ١٧ ، ١٧٣ طبعة بيروت

تلك هي المشكلة - كما شخصها ، بعقوبة ، ابن الروم الأرثوذكس ، ميشيل عفلق - وهذا هو الحل . .

فالانتماء الجامع للعروبة الثقافية والقومية والإسلام الحضارى هو « الحاضر الجامع » للمسيحيين مع المسلمين . . بينما التفریب ، الذى ينزع المسيحي من هذا الانتماء الجامع هو الذى يصيبه بالاغتراب ، فيعزل فى « جيتو » الطائفية والكنيسة . . حتى يشد الرحال إلى المهاجر ، فيندمج فى الحضارة التى استبدلها بحضارته العربية الإسلامية .

وعندما كان المسيحيون الشرقيون يجسدون هذا النموذج - الذى تحدث عنه وتمناه ميشيل عفلق - فى الانتماء للعروبة والإسلام الحضارى ، كان مكرم عبيد باشا [١٨٨٩ - ١٩٦١م] يرشح نفسه فى الانتخابات النيابية بدائرة « السيدة زينب » - فى القاهرة - فيكسب ثقة الناخبين - وجميعهم مسلمون - ويكتسح كل المرشحين المسلمين المنافسين ! . . ولم يكن أحد يفرق بين مكرم عبيد المسيحي - ابن الحضارة الإسلامية - وبين زعيمه سعد زغلول باشا [١٨٥٧ - ١٩٢٧م] ابن الأزهر الشريف ! . . فالانتماء الوطنى والقومى والحضارى - العربى الإسلامى - هو جواز المرور إلى قلوب الجماهير .

ويومها لم يكن المسيحيون الشرقيون يهاجرون ، ولا كانت المسيحية الشرقية يتهددها التلاشى والانقراض . . أما عندما جاء

الذين يستبدلون عبارات « شعب الكنيسة .. والشعب المسيحي »
بعبارة « الأمة العربية » .. ويقولون - بلسان الأنبا غريغوريوس
[١٩١٩ - ٢٠٠٢م] - الرجل الثانى فى الكنيسة الأرثوذكسية
المصرية ، وأسقف التعليم والدراسات العليا والبحث العلمى .

« إن اللغة القبطية هى لغتنا .. وهى تراث الماضى ، ورياط
الحاضر ، وهى من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان
الشعب المسيحي .. وهى السور الذى يحمينا من المستعمر
الدخيل »!!^(١)

وعندما جاء الذين يعلنون - بلسان الأنبا توماس - أسقف
القوصية ، بصعيد مصر - :

- « أن الشخص القبطى يشعر بالإهانة إذا قلت له : إنك
عربى ! ».

- « وأن اللغة القبطية هى اللغة الأم لمصر »! ..
- « وأن الأقباط يعانون ويحاربون خطرى التعريب والألمنة »! ..
- « وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت ، ووجدوا أنفسهم
مسئولين عن حمل ثقافتهم والمحاربة من أجلها حتى يأتى
الوقت الذى يحدث فيه انفتاح ، وتعود دولتنا لجذورنا
القبطية .. وحتى يأتى هذا الوقت ، فإن الكنيسة تقوم بدور
الحاضنة للمحفاظ على هذا التراث القومى المختلف »! ..

(١) صحيفة [وطنى] عدد ٢٠٠٢/٧/٣٠ م.

- « وأن المسلمين قد خانوا الأقباط منذ الاحتلال العربى لمصر »!!^(١)

أما عندما حدث هذا الانقلاب على الهوية القومية العربية والانتماء الحضارى الإسلامى - بفعل الطائفية الانعزالية - والتغريب - فإن قطاعات كبيرة من المسيحيين الشرقيين قد خرجت من « حاضنة الانتماء الحضارى الجامع » إلى « جيتو الطائفة والكنيسة » فطبق عليها اليأس والاغتراب ، الذى دفعها إلى الهجرة ، حتى باتت تتحدث - شاكية .. مع الفاتيكان - عن التلاشى والانقراض ..

والمشكل ، أن نيفّة الفاتيكان - التى نحاورها - تسير فى الطريق الذى يزيد الطين بلة! .. وتجاهل آية إشارة إلى العلاج .. فهى - مثلاً - فى البندين ٤١ ، ٤٢ - ترجع تأزم وضع المسيحيين فى الشرق إلى « تصاعد الإسلام السياسى اعتباراً من سنة ١٩٧٠ م .. وعودة الأمة إلى إسلام الأصول » .. وذلك بدلاً من أن تدرك أن هذه العودة إلى الذات الإسلامية والانتماء الحضارى الإسلامى ، هى عودة إلى الانتماء الجامع للمسيحيين

(١) من محاضرة للأب نوما ، بمعهد اهديسون - فى واشنطن ، بتاريخ ٢٠٠٨/٧/١٨ م . انظر صحف [الاستور] و[المصرى اليوم] و[البديل] فى ٢٠٠٨/٨/١٣ م .. وانظر كتابنا [الفتنة الطائفية متى .. وكيف .. ولماذا؟] ص ٦٤ . طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٩ م .

والمسلمين جميعاً ، على اعتناء تاريخهم الطويل . . فهي عودة إلى الأصل . . وهي العلاج الذي أبصره ميشيل عفلق . . وليست المرض . كما زعمت وثيقة الفاتيكان - أ .

إن هذه الوثيقة الفاتيكانيّة تخدع المسيحيين الشرقيين عندما تجعل ما تسميه « الإسلام السياسي » مسئولاً عن هجرة هؤلاء المسيحيين . ذلك أن هجرة هؤلاء المسيحيين إلى الغرب قديمة ، قبل أن يعرف الشرق والغرب ظاهرة « الإسلام السياسي » . ولقد بدأت هجرة الأقباط الأرثوذكس مع قانون الإصلاح الزراعي . في سبتمبر سنة ١٩٥٢ م . لأنهم كانوا يمثلون النسبة الأكبر . بالنسبة لتعدادهم . في الإقطاعيين الذين أضرروا من عدالة هذا القانون . . ولم يكن بمصر « إسلام سياسي » في ذلك التاريخ . .

وجاءت الموجة الثانية من هجرة المسيحيين المصريين مع قوانين « تمصير الشركات الأجنبية » عقب العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م ، لأن هؤلاء المسيحيين كانت لهم الغلبة في وظائف هذه الشركات الأجنبية تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزي لمصر . . ولم يكن بمصر يومئذ « إسلام سياسي » بل لقد كان هذا التيار قابلاً في السجون والمعتقلات ! . .

ثم جاءت الموجة الثالثة من هجرة المسيحيين المصريين عقب صدور القوانين الاشتراكية - التي طورت الإصلاح الزراعي وأممت الشركات - سنة ١٩٦١ م . . لأن هؤلاء المهاجرين قد اعتبروا أنفسهم ضحايا عدالة هذه القوانين ! . . ولم يكن بمصر يومئذ

« إسلام سياسي » ، لأن أهل هذا التيار كانوا لا يزالون قابعين في
غياهب السجون والمعتقلات !

وفي السنوات الأخيرة . . وفي ظل الحظر المفروض من الدولة
على هذا التيار - تيار « الإسلام السياسي » - تصاعدت معدلات
الهجرة المسيحية من مصر ! . . لأن أمريكا - والبلدان الغربية
الداخرة في فلكتها - تريد « تفريغ » المجتمعات الشرقية من
الكفاءات . . وهي تفضل المهاجرين المسيحيين من الشرق - كما
تفضلهم من شرق أوروبا - على المهاجرين المسلمين !

ومع أن نسبة المسيحيين المصريين لمجموع السكان هي
٥.٤% فإن نسبتهم في تأثيرات هجرة « البانصيب » الأمريكية
٩٥% ! . ونسبة الشباب المسيحي بين المهاجرين تزيد عن ٧٠% . .
وإذا كانت الأرقام حقائق صلبة وعبيدة ، فإن النظر في
« ظاهرة » هجرة المسيحيين الشرقيين يضع يدنا على حقيقة أنها
تتم من أغلب المجتمعات التي لا علاقة لها بما يسمى « بالإسلام
السياسي » .

● لقد تمت وتم من فلسطين ، وهي تحت الاحتلال الصهيوني ،
الذي يستولي على المساجد بل ويحرقها ! ويقتل حتى حرية
الصلاة ، ويقتل ويسجن الإسلاميين - الذين يسميهم
« الإرهابيين » ! .

● وتمت في العراق البعثي . . القومي . . العلماني . . كما تتم
الآن تحت الاحتلال الأمريكي ! . .

● وتمت وتم في سوريا البعثية القومية العلمانية . . حيث
الانتماء - مجرد الانتماء - لما يسمى بالإسلام السياسي ،
عقوبته الإعدام ! . .

● وتمت وتم من تركيا - حيث العلمانية الأتاتوركية المتوحشة -
التي حاربت ، ليس فقط « الإسلام السياسي » ، وإنما أشكال
التدين الشعائري للمسلمين ! . .

● وتمت وتم في لبنان ، حيث العلمانية هي الخيار الذي اتفق
عليه الجميع ! . .

ولعل في أرقام الجدول التالي ما يؤكد هذه الحقائق الصلبة
والعنيدة . . ويبسّد أوهام الوثيقة الفاتيكانية حول ربط الهجرة
المسيحية بالإسلام السياسي وبالعودة إلى إسلام الأصول :

الدولة	عدد - أو نسبة - المسيحيين قبل الآن	عدد - أو نسبة - المسيحيين الآن	ملاحظات
تركيا	٢٠٠٠٠٠٠٠ في سنة ١٩٢٠ م = ١٥% من السكان	٨٠٠٠٠٠ = ١% من السكان	
إيران	٣٠٠٠٠٠٠ في سنة ١٩٧٩ م	٥٠٠٠٠٠٠	
سوريا	٣٣% من السكان سنة ١٩٠٠ م	١٠% من السكان	

لبنان	٥٥% من السكان سنة ١٩٣٢م	أقل من ٣٠% من السكان	حرب سنة ٢٠٠٦م دفعت مليوناً للهجرة
القدس	٥٣% من نسبة السكان سنة ١٩٢٢م	١٠,٠٠٠ = ٢% من نسبة السكان	
بيت لحم	٨٥% من نسبة السكان سنة ١٩٤٥م	١٢% من نسبة السكان	
فلسطين	٢٠% من نسبة السكان سنة ١٩٤٨م	٦٥,٠٠٠ = ١٠% من نسبة السكان	
الضفة الغربية	_____	٥١,٠٠٠	
غزة	_____	٣,٥٠٠	
العراق	١,٢٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٧٨م = ٥% من السكان	٢٠٠,٠٠٠ في سنة ٢٠٠٣م ٣٥% من السكان	وبعد الاحتلال هاجر ٣٥٠,٠٠٠ والباقي ٣٥٠,٠٠٠ = ١,٥% من السكان
الأردن		١٦,٠٠٠ = ٤% من السكان	(١)

(١) انظر في هذه الإحصاءات: صحيفة [الحياة] - لندن في ١١/٦/٢٠٠٨م -
دراسة أحمد دياب، بعنوان «عمل يخلو الشرق الأوسط من مسيحييه» -
وانظر كذلك: الدكتور رضوان السيد [الحياة] في ١٨/٣/٢٠٠٨م

- لقد أرجع الدكتور كمال فريد إسحاق - أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية ما أسماه « انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام » إلى ثلاثة أسباب :
أولها : الهجرة إلى الخارج .
وثانيها : اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامي .
وثالثها : أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف ^(١) .
- وقالت « نيوزويك » - الأمريكية - إن عدد المسيحيين العرب ، في الشرق الأوسط ، الآن يتراوح ما بين ١٢ و ١٥ مليون « ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط بحلول عام ٢٠٢٥ م » .
- وتنبأ « دروكريستيانس » رئيس تحرير « مجلة أمريكا » « باندماج المسيحيين الشرق أوسطيين في نهاية المطاف في بحر المسيحية الغربية » ^(٢) .
- وعلى حين تشكو الوثيقة الفاتيكانية من هجرة المسيحيين الشرقيين ، فإن كتابات مسيحية تكشف عن تشجيع الكنائس الشرقية لهذه الهجرة ^(٣) . . . فلقد كتب الصحفي المسيحي « مايكل فارس » كلاماً خطيراً عن تصاعد معدلات الهجرة القبطية من مصر . . وكان عنوان المقال [٧٠٠ ألف قبطي

(١) صحيفة [المصري اليوم] عدد ٢٠٠٧/٥/١٢ م .

(٢) [نيوزويك] عدد ٢٠٠٨/١/١٥ م .

تقدموا بطلبات الرحيل : الكنائس تحولت إلى مراكز للهجرة ، تتلقى طلبات الشباب وتعلمهم اللغات بأسعار رمزية [١] .

وتحدث هذا الكاتب عن « وجود مركز في كل كنيسة مهمته تلقي طلبات الهجرة بأجر رمزي ، أو دون مقابل للشباب . ويتزايد الإقبال خلال الشهور من أكتوبر وحتى ديسمبر من كل عام ، وتأتي استراليا وكندا في مقدمة الدول المستهدفة . ولقد أرجع الشباب - الراغبون في الهجرة - تقدمهم بطلباتهم عن طريق الكنائس لشقتهم في المؤسسة الدينية وصورتها المقبولة في الخارج ، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م ^(١) .

لقد تحولت الكنائس إلى « جيتو » - مقبول الصورة في الخارج بعد ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م - . . . ويؤكد هذا « الجيتو » أن يصح « سمسار » الهجرة للمسيحيين الشرقيين إلى خارج أوطانهم الشرقية . لقد صنعوا المسألة - أو على الأقل أسهموا إسهاماً كبيراً في صنعها - ثم أخذوا يشكون منها - عن طريق القاتيكان - . . .

وإذا كان ٧٠٠,٠٠٠ (سبعمائة ألف) قبطي - ٧٠٪ منهم من الشباب - قد تقدموا - عن طريق الكنائس - للهجرة في عام واحد

(١) مايكل فارمر - صحيفة [صوت الأمة] عدد ٢٠٠٨/١/١٥ م - . وانظر كتابنا [الفتنة الطائفية] ص ٧٦ - ٧٩ .

- وهذا العدد يقترب من خمس المسيحيين المصريين - فإننا ندرك حجم الفاجعة والمأساة التي تصدّر هذه الكفاءات إلى الخارج - بعد أن حبستها - بالطائفية .. وتآكل الانتماء الحضارى - فى « جيتو » الكنيسة ، وفرضت عليهم العزلة والاغتراب واليأس والقنوط!! ..



ثم إن هذه الوثيقة الفاتيكائية تفضل المسيحيين الشرقيين ، عندما تتحدث - فى البند ٤٤ - عن أن « الحالة الاقتصادية هى أحد أسباب الهجرة المسيحية » .. متجاهلة أن الأقليات المسيحية فى الشرق تمتلك - أحياناً - النسبة الأكبر من ثروات القطاع الخاص - فى كثير من البلاد العربية - وأنها ، فى الجملة ، لا تعاني ما تعانيه جماهير الأغليات المسلمة من أزمات ومشكلات الفقر .. والبطالة .. والامية .. والسكن .. والعجز عن الزواج .. إلخ .. إلخ ..

وننسى هذه الوثيقة المخططات الغربية الاستعمارية - القديمة .. والجديدة - الحريصة على تركيز الثراء فى جانب الأقليات والحرمان فى جانب الأغليات - نيس حبا فى عيون الأقليات ، وإنما لإحداث القلق وإذكاء الصراعات الداخلية فى بلادنا .. صنعت ذلك فى لبنان .. ويصنعه الأمريكان الآن بمصر .. ففى

سنة ٢٠٠٧م اعتمد الكونجرس الأمريكي - بالقانون ٢٧٦٤ - ٥٠٪ من المعونات الأمريكية غير العسكرية - المخصصة لمصر - وذلك لتمويل وتقوية المنظمات القبطية - وعددها ٤٠ منظمة - وكذلك لمساعدة القرى المصرية التى تسكنها نسبة عالية من الأقباط ، بدعوى « تطوير جالية الأقباط المسيحيين » !! . . . وتوجيه أغلب المعونات الأمريكية التى تقدم للقطاع الخاص المصرى لتكوين « جيل من شباب الأعمال الأقباط » !! . . . ولقد كتبت صحيفة [الأهرام] - الرسمية . . . الوفرة - عن هذه « الجريمة الأمريكية » أربع مقالات - فى ٤ أغسطس سنة ٢٠٠٧م - ^(١)

هكذا يعمل الاستعمار على تكوين - كما يقول - « جيل من شباب الأعمال المسيحيين » ليكون منهم كبار الأثرياء . . . الذين تسير استثماراتهم فى ركاب جيوش الغزو الأمريكى للعالم الإسلامى! . . . والذين يزكى ثراؤهم - الفاحش أحياناً - مشاعر الحقد الاجتماعى والصراع الطبقي فى المجتمعات الشرقية . . . ثم

(١) انظر مقالات صلاح الدين حافظ - الأهرام - فى ١٥، ٨، ١، ٢٠٠٧/٧/٢٩م عن « المعونة والمعانين والمتعاونين » و« المعونة الأمريكية والتمييز بين المسلمين والمسيحيين » و« الاستخدام التامى للمعونات الأجنبية » و« من المستول : حكومتنا أم حكومتهم » .

تأتى الوثيقة الفاتيكانية لتضحكننا بالحدث عن أن المسيحيين يهاجرون لأنهم فقراء!! . . .



ثم تذهب هذه الوثيقة - التى نردد كثيراً مصطلح « العدالة » - إلى حيث تدافع - فى البند ٤٩ - عن حقوق « مئات الآلاف من المهاجرين المسيحيين - الأفارقة والآسيويين - الذين يتدفقون على بلدان الشرق الأوسط » كوافدين للعمل . . . ضد المظالم الاجتماعية التى نعرضون لها . فهذه الهجرة الوافدة تشكل نداء لكنايسنا ، إذ تقع على كنايسنا مسئولية رعوية لمرافقه هؤلاء الأشخاص ، سواء على الصعيد الدينى أو على الصعيد الاجتماعى .

وتنسى هذه الوثيقة أن المجتمعات الشرقية التى تعاني من البطالة الحادة . إنما تنظر إلى هذه الهجرات المسيحية الوافدة ، التى ترعاها الكنائس ، فى إطار المخططات الرامية لتغيير « الديموغرافية المدنية » بالبلاد!! . . .

كما أن موقف الوثيقة الفاتيكانية من الدفاع عن حقوق هؤلاء المهاجرين المسيحيين إلى الشرق . . . وموقفها - كذلك - فى البند ٤٨ - الداعى إلى « تشجيع المهاجرين المسيحيين من الشرق إلى الغرب على اقتناء ممتلكات عقارية فى أوطانهم الأصلية » . . . إن هذا الموقف الفاتيكاني - الداعى « للعدالة » - لا نجد له أثراً فى تحريك ضمير الفاتيكاني إزاء المهاجرين المسلمين - العرب

والأفارقة - إلى أوروبا . . . والذين يعانون من العنصرية
وه الإسلاموفوبيا - الذى يشارك فيه الفاتيكان ! . . . كما يعانون
من الأعمال الشاقة . . . والحقيرة . . . والأجور المتدنية . . . ومن شبح
الترحيل إلى بلادهم - التى امتص الاستعمار خيراتها على امتداد
خمس قرون ، ثم أسلمها إلى « النخب الفاسدة » التى رباها فى
مدارس إرساليات التنصير . . .

بل إن قساوسة الكنائس الغربية ، يذهبون إلى هؤلاء
المهاجرين المسلمين - فى معسكرات الاحتجاز للترحيل -
فيأومنونهم على ترك إسلامهم والتحول إلى المسيحية ، مقابل
« حق الإقامة » وه فرصة العمل « فى تلك البلاد » . . .

فأين هو ضمير الفاتيكان . . . وأين هى « العدالة » فى التعامل
مع هؤلاء البؤساء من المهاجرين المسلمين ؟ ! . . أم أنهم
- كالأجانب المسلمين - لا نصيب لهم فى « عدالة » الفاتيكان ؟ ! . .

* * *

● وإذا كان شهيرا حماس الكنائس الشرقية - ورعيتها - لتنظيم -
وحتى تحديد - نسل المسلمين . . . فإن هذه الوثيقة تدعو الأسر
المسيحية إلى عكس ذلك . . . وتجعل زيادة نسل المسيحيين
رسالة للكنيسة . . . فتقول - فى البند ٢٩ - :

« تعمل الكنيسة في المقام الأول على تنمية الأسرة . . وفي
الإطار الديموغرافي (السكاني) الحالي ، تشجع الكنيسة
العائلات الكثيرة العدد » ! .

وهكذا تكون « العدالة الفاتيكانية » - في هذه الوثيقة ، موضوع
هذا الحوار - ! . . .

حرية الضمير .. وتغيير الدين

فى الموقف مما يسمى « حرية الضمير » بمعنى حرية الكفر والزندقة والإلحاد .. وتغيير الدين .. تعبر الوثيقة الفاتيكانية عن « العقلية الغربية » وليس عن « العقلية الشرقية » .. ثم تذهب لتفرض « هذه العقلية الغربية على الشرقيين - مسيحيين ومسلمين - ! .. »
ففى الغرب - وبالذات فى أوروبا - ليس الدين مما يغاز عليه الإنسان ، ولا هو من ثوابت الهوية التى يتمسك بها ، ويضحى فى مسيلها .

ولقد اكتشف رفاعة الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٠١ م - ١٨٧٣ م] هذه الحقيقة عندما ذهب إلى باريس - بنت الكاثوليكية .. وعاصمة أكبر بلادها - فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، فكتب يقول :

« إن أكثر أهل هذه المدينة - [باريس] - إنما له من دين النصرانية الاسم فقط ، حيث لا يتبع دينه ، ولا غيره له عليه ، بل هو من الفرق المحسنة ، والمقبحة بالعقل ، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك فهو لا يصدق بشئ مما فى كتب أهل الكتاب

لخروجه عن الأمور الطبيعية . . ولهم فى الفلسفة حشرات
ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية^(١)

فالمرء - فى تلك الحضارة - لا غيرة له على دينه ، وهو يتنازل
عنه ، ويهمله ، ويبدله كما يبدل المنزل أو السيارة - وربما أدنى
من ذلك أ - . . ولذلك أسباب تتعلق بالميراث الوثنى الإغريقى - .
وبالطابع الخرافى للآهوت الكنى - . وبالفلسفة الوضعية - .
وبالعلمانية ، بعد عصر النهضة الأوربية الحديثة ، التى أنزلت
المسيحية عن عرشها فى الفضاء الأوربى

لكن مكانة الديانة فى الشرق - مسيحية كانت أو إسلاماً - عند
المسيحيين وعند المسلمين - ليست على هذا المنوال . .
فالمسيحيون المصريون الأواثل - والشرقيون عموماً - كانوا
يقبلون على الموت ، طعاماً للأسود وللنيران ، دون أن يتخلوا عن
دينهم أو يبدلوه ! .

وقبل المسيحية ، يحكى القرآن الكريم قصة « أصحاب
الأخدود » ، الذين أقبلوا - فرحين - على الحرق بالنيران فداء
للدين الذى به يؤمنون ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿١﴾ النَّارُ ذَاتُ
الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) رفاة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ٧٩ - ٣٢٠ - دراسة وتحقيق :
دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م .

شُهُودٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢١﴾
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾
(الروح: ٢٠-٢٢).

وعندما ظهر الإسلام ، سجل التاريخ ، أروع صور الصمود
البطولي والاسطوري للمؤمنين المستضعفين - من الرجال
والنساء - الذين اکتوا بحرارة الحمضاء كي يبدلوا دينهم ، مما
زادهم ذلك إلا إيماناً ، وإعلاناً عن التوحيد : «أحد أحد» .

وفي النسق العقدي الإسلامي أصبح الحفاظ على الدين وعلى
الوطن - الذي هو وعاء إقامة الدين - معياراً للموالاتة وللمعاداة .
وصار الحفاظ على الدين أول ضرورة من ضرورات مقاصد
الشريعة الإسلامية . وجاء في الحديث النبوي الشريف : « من
قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن
قُتِلَ دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد »
- رواه الترمذی - .

وبهذه القيمة ، وهذه المكانة للدين ، اضططعت الحضارة
الإسلامية ، وكل أبنائها ، المسلمون منهم والمسيحيون - حتى
أننا نجد - في واقعنا المعاصر - شعوب الشرق - المسيحيين منهم
والمسلمين - يضعون الدين والعرض والشرق في المقام الأعلى ،
ويضحون في سبيلها بالحياة . ولذلك عُدَّ تعبير الدين - لدى

المسلمين والمسيحيين الشرقيين - خيانة وعارا ، يعاقب عليه بالقتل - حتى وإن كان ذلك اقتتانا على السلطان والقانون والقضاء . . .

وتلك هي الحقيقة الحضارية الإسلامية الشرقية التي غابت عن العقلية الغربية والمتغربة التي صاغت وثيقة الفاتيكان ! . فقالت - بلهجة النكد والاستنكار - في البند ٣٧ - :

« في الشرق عادة ما تعنى الحرية الدينية حرية العبادة ، وبالتالي فهي لا تعنى بعد حرية الضمير ، أى حرية أن يؤمن الشخص أو لا يؤمن ، أن يمارس ديانة سرّاً أو علناً بدون أية عقبة ، وبالتالي حرية تغيير الديانة . إن الديانة في الشرق ، عادة ما تكون اختياراً اجتماعياً ، بل قومياً ، لا اختياراً فردياً ، فتغيير الديانة يعتبر خيانة تجاه المجتمع والثقافة والأمة المبنية أساساً على تقليد ديني . »

ويا ليت هذه الوثيقة الفاتيكانية سلمت بهذا التمايز الحضاري الشرقي إزاء الدين ، وإزاء تغيير الدين ، باعتباره خصيصة حضارية شرقية ، مستوى في الاستسكان بها المسيحيون والمسلمون على حد سواء .

ولكنها انسأقت وراء مقاصد تنصير المسلمين ، وتغيير دينهم ، ووراء ذلك الذي سمته « حرية الضمير » للمسلم كي يغير دينه .

فتحدثت - في البند ١١٠ - عن « أن الحرية الدينية وحرية
 الضمير مجهولتان بوجه عام في الإطار الإسلامى » . . . وقالت
 - في البند ٣٨ - : « إن الاهتداء إلى الإيمان المسيحى ينظر إليه
 كنتيجة لاقتناص مغرض ، وليس لاقتناع دينى حقيقى » .
 ثم وقعت هذه الوثيقة الفاتيكانية فى التناقض ، عندما أطلقت
 على الانتقال من الكاثوليكية إلى الإنجيلية - والمفترض أنهما دين
 واحد - مصطلح « الاقتناص » ! . . . فقالت - فى ذات البند ٣٨ - : « إن
 بعض الجماعات الإنجيلية تمارس الاقتناص المسيحى علناً ! »
 ثم مضت فأعلنت فى تحدى هذه « الخصوصية الدينية
 الحضارية الشرقية » إزاء مكانة الدين ، فطالبت - فى ذات البند -
 « باحترام حقوق الإنسان ، حرية ضميره كاملة » . . .
 لقد تجاهلت هذه الوثيقة - التى صاغتها العقليّة الغربية
 والمتغربة - التى لا تغار على الدين - أن هذه الغيرة على الدين ،
 واعتباره عنواناً على الذات ، واعتبار تغييره خيانة اجتماعية ، هى
 قيمة سائدة حتى داخل الطوائف المسيحية الشرقية ذاتها . . .
 وليست - فقط - بينها وبين الإسلام . . .
 - فالأرثوذكس الأقباط يرفضون الزواج فى كنائس الكاثوليك
 والإنجيليين . . . ولا يعدونه زواجا مسيحياً ! . . . ويرفضون الصلاة
 فى غير الكنائس الأرثوذكسية .

- وكثيرون من أبناء هذه الطوائف يرتكبون جرائم القتل
- خارج القانون - بسبب تغيير الدين - الذي تدافع عنه الوثيقة
الفاتيكانية ، وتدعو إليه ، وتسميه « حرية الضمير » . بل إن
الكنيسة الأرثوذكسية المصرية تختطف وتسجن - في الأديرة - من
ينتقل منها إلى الإسلام ! .

● بل إن الفاتيكان - الذي صاغ هذه الوثيقة - غاضب كل الغضب
من « حرية الضمير » هذه التي أدت وتؤدي إلى انتقال رعيته
من الكاثوليكية إلى الإنجيلية في أمريكا اللاتينية وأمريكا
الشمالية ! . .

لكنه يريد تسويق هذا الذي سماه « الاقتناص » بين المسلمين ،
تحت عنوان « حرية الضمير » ! . . وهي حرية مرفوضة إسلامياً ،
لأنها تعني حرية التنصير ، الذي غدا حرباً عالمية عظمى ضد
الإسلام والمسلمين ، وليس مجرد قناعة فردية خاصة يملكها العقل
والضمير .

الدعوة إلى علمنة الإسلام والمسلمين

تشكو كل الكنائس الأوربية من الآثار الكارثية التي صنعتها العلمانية بالمسيحية في أوروبا . . وكيف أن هذه العلمانية - بفلسفتها الرضعية - قد أحلت « الحداثة » كدين وضعى محل الدين الإلهي - دين ثالوثه : العقل . . والعلم . . والفلسفة - وبذلك هُـمِـثَّت المسيحية ، وأصابتها بالإعياء ، وكادت أن تقضى عليها .

ولقد اشتكى البابا بنديكشوس السادس عشر - فى كتابه [بلا جذور : الغرب ، النسبية ، الإسلام والمسيحية] - من « تحول مسيحية غالبية الأوربيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية فى يوم من الأيام » . . كما اشتكى من « تراجع معدلات المواليد فى أوربا المسيحية » بسبب النزعة الدنيوية للعلمانية ، التى كادت أن تقضى على مؤسسة الأسرة فى المجتمعات الأوربية ! . .

لقد أصبحت أوربا شبه خاوية من الروحانية المسيحية ، حتى أن :

- الذين يؤمنون بوجود إله فيها - حتى ولو لم يعبدوه - أقل من ١٤ ٪ من الأوربيين ! . .
- والذين يذهبون إلى القداس مرة فى الأسبوع ، فى فرنسا - بنت الكاثوليكية . . وأكبر بلادها - أقل من ٥ ٪ من سكانها - أى

أقل من ثلاثة ملايين - وهو نصف عدد الفرنسيين المسلمين الذين يواظبون على صلاة الجمعة ! .. وهم في التشيك أقل من ٣٪ من السكان ! ..

● وهناك نقص في الرهبان - بسبب العزوف عن العزوبة - حتى أصبح هناك راهب واحد لكل ١.٢٠٠ مسيحي أوروبي ! .. وفي إفريقيا راهب واحد لكل ٤.٠٠٠ ..

● وفي أمريكا يواجه ٣.٠٠٠ قسيس تهمة التحرش الجنسي بالأطفال ! .. ولقد شاعت الانحرافات الجنسية بين القساوسة والرهبان - وخاصة في الاعتداء على الأطفال - حتى أفلست الكثير من الإبرشيات بسبب التعويضات التي تدفعها لضحايا هذه الاعتداءات الجنسية ! ..

● وفي أمريكا انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠٪ عن خمسينيات القرن العشرين .. وثلاثتهم هم الذين يواظبون على حضور القداس الأسبوعي ، وكانوا ضعف هذا العدد قبل جيل من الزمان ! ..

● و ٧٠٪ من كاثوليك أمريكا يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل ، على خلاف موقف الكنيسة .

● و ٧٠٪ من كاثوليك روما - حيث الفاتيكان - يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج ! ..

- وكثير من الكنائس الأوروبية وغير الأوروبية تزوج الشواذ - المثليين - وبها قساوسة شواذ! .. والقوانين التي تحكم الاتحاد الأوروبي - والتي هي شرط في دخوله - تعتبر الشذوذ الجنسي حقاً أصيلاً من حقوق الإنسان .. وللشواذ مؤتمرات سنوية ومظاهرات احتفالية تجوب الشوارع والميادين في كثير من المدن الأوروبية! ..
- ولقد شرعت حكومة بلدية «بورنس أيرس» - عاصمة الأرجنتين الكاثوليكية - زواج المثليين! ..
- وفي استطلاع أجرته مؤسسة «جالوب في إبريل سنة ٢٠٠٥م» - ظهر أن ٧٤٪ من الكاثوليك يتصرفون في المسائل الأخلاقية بناء على ضمايرهم ، على عكس تعاليم الكنيسة .. ولا يلتزم بتعاليم الكنيسة - في المسائل الأخلاقية - سوى ٢٠٪ فقط! ..
- وفي ألمانيا توقف القديس في نحو ثلث كنائس أبرشية «أيسن» بسبب قلة الزوار .. وهناك ١٠٠,٠٠٠ (عشرة آلاف كنيسة) مرشحة للإغلاق وللبيع لأغراض أخرى! ..
- وتنفد الكنائس الألمانية - الإنجيلية والكاثوليكية - سنوياً أكثر من ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) من أبنائها! ..
- وفي إنجلترا لا يحضر القديس الأسبوعي سوى مليون فقط! .. ولقد صُنفت ١٠٪ من كنائسها رسمياً باعتبارها زائدة عن

الحاجة ، ومرشحة للبيع مطاعم وملاهي وحتى علبا لليل! ..
وأعلن الكاردينال « كورمك ميرفى » رئيس الكنيسة
الكاثوليكية في إنجلترا وويلز : أن المسيحية أوشكت على
الانحسار في بريطانيا ، وأن الدين لم يعد مؤثراً في حياة
الناس ! .

● وفي إيطاليا - بلد الفاتيكان - تحول الكنائس إلى مطاعم
وملاهي .. ولقد غنت « مادونا » في كنيسة تاريخية ، بعد أن
تحولت إلى مطعم .. وتحول « المذبح » إلى فرن للميتزا ! ..

● وفي كوبنهاجن - عاصمة الدانمارك - عرضت عشر كنائس
للبيع .. وصرح « كاي بولمان » - الأمين العام للكنائس في
الدانمارك - : « أنه إذا لم تستعمل الكنيسة للعبادة ، فالأجدر أن
تستعمل كاصطبل للخنازير! - في محاولة لحظر بيعها مساجد
للمسلمين الدانماركيين - ! ..

● وفي جمهورية التشيك ، لا يذهب إلى القداس الأسبوعي سوى
٣٪ من السكان .. والاتجاه هو إلى بيع نصف كنائسها
الـ ١٠٠٠٠٠ بسبب قلة الزوار! .. ولقد بيعت كنيسة القديس
ميخائيل - في وسط براغ - والتي يعود تاريخها إلى القرن
الثاني عشر ، وتحولت إلى نادى للمعزى وموسيقى التكنو ! ..

* * *

تلك مؤشرات - مجرد مؤشرات - على الثمرات المرة والكارثية التي صنعتها العلمانية بالمسيحية في أوروبا . والتي جعلت أوروبا فراغاً مسيحياً ، تتمدد فيه مختلف العقائد الدينية الوافدة ، وفي مقدمتها الإسلام . . حتى أن المظاهرات تندلع - بقيادة الفاشيين والنازيين الجدد - والأحزاب اليمينية - للتخويف من الإسلام ، ومن أسلمة أوروبا . . وحتى أن البابا بنديكطوس السادس عشر - الذي يصمت صمت الرضا عن هذه المظاهرات الفاشية - قد أعلن - في كتابه [بلا جذور] - عن «خوفه من أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين» ١ .

● ولقد شخص القس الألماني - عالم الاجتماع - «جونفرايد كونزل» - أستاذ اللاهوت الإنجيلي والأخلاقيات الاجتماعية بجامعة القوات المسلحة بمينخ - شخص مسئولية العلمانية عن هذه الكارثة التي أصابت المسيحية الغربية - في بحثه عن «العلمانية والدين»^(١) - فقال :

(١) قدم هذا البحث إلى ملتقى الحوار الإسلامي المسيحي ، بالمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - مؤسسة آل البيت - بالأردن - في ٧ - ٩ إبريل سنة ١٩٩٧ م . ولقد تمت بالتعليق عليه . . ثم قدمت له ونشرته في سلسلة التوير الإسلامي - نهضة مصر سنة ١٩٩٩ م ، بعنوان [مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا : شهادة ألمانية] - انظر فيه من ١٧ ، ١٨ .

« لقد مثلت العلمانية تراجع السلطة المسيحية .. وضياح أهميتها الدينية .. وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية ، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية .. وسيادة مبدأ : دين بلا مياسة ، وسياسة بلا دين .. »

● ولقد نبعت العلمانية من التنوير الغربى .. وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين ، وانتصاره عليه ، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقبة التاريخ البشرى ، يتلاشى بإطراد فى مسار التطور الإنسانى ..

● ومن نتائج العلمانية : فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً .. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم .. بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس ، وللحياة بشكل عام .. فسلطة الدولة ، وليست الحقيقة ، هى التى تصنع القانون .. وهى التى تمنح الحرية الدينية ..

● ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين المسيحى ، يفهم الوجود بقوى دنيوية ، هى العقل والعلم ..

● لكن .. وبعد تلاشى المسيحية .. سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان ، التى كان الدين

يقدم لها الإجابات . . فالفناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين . . وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها ، بل وتفكك أنساقها - العقلية والعلمية - عديمة ما بعد الحداثة . . فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة ، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة . . فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث . . وتحققت نبوءة « نيتشة » [١٨٤٤ - ١٩٠٠ م] عن « إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفتقدون (نجمهم) الذي فوقهم ، ويحيون حياة تافهة ، ذات بعد واحد ، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه » . .

وبعبارة « ماكس فيبر » [١٨٦٤ - ١٩٢٠ م] : « لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم ، وعلماء لا قلوب لهم ! » . . ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاشى ، بل تزايد . . وفي ظل انحسار المسيحية ، انفتح باب أوربا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة - من التجسيم . . إلى عبادة القوى الخفية . . والخرافة . . والاعتقاد بالأشباح . . وطقوس الهنود الحمر . . وروحانيات الديانات الآسيوية . . والإسلام الذي أخذ يحقق نجاحاً متزايداً في المجتمعات الغربية . .

لقد أزال العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوربا . . ثم عاجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان

الأوربي ، عندما أصبح معبداً العلمى عتيقاً . . ففقد الناس
« النجم » الذى كانوا به يهتدون : وَعَدَ الخلاص المسيحى . .
ثم وَعَدَ الخلاص العلمانى !

تلك شهادة خبير فى اللاهوت وفى علم الاجتماع ، على
الكارثة التى أحدثتها العلمانية بالمسيحية فى أوروبا . .

وسبحان الله ! . . فنحن إذا تأملنا وصف الفيلسوف الألمانى
« نيتشة » للإنسان الذى أثمرته هذه العلمانية اللادينية : « إفراز
التطور الثقافى الغربى لأناس يفقدون (نجمهم) الذى فوقهم ،
ويحيون حياة تافهة ، ذات بعد واحد ، لا يعرف الواحد منهم
شيئاً خارج نطاقه » . . فكأننا نقرأ تفسيراً للآية القرآنية التى وصفت
الدهريين ، فقالت : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١
يَعْلَمُونَ ظَنَّهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿

(الروم : ٦-٧) . .

هكذا صنعت العلمانية الحياة التافهة ، والإنسان ذا البعد الواحد
- البعد الدنيوى المادى ، الذى لا يعرف شيئاً خارج هذه الدنيوية
ولذاتها . . صنعت - بعبارة « ماكس فيبر » : الإنسان الأخصائى
والخبير الدنيوى الذى لا روح له . . والعلماء الذين فجروا
الطاقات المادية ، دون أن تكون لهم قلوب توظف هذه العلوم فى
صناعة الإنسان المتوازن ، الذى يحقق حريته بالعبودية لله ! . .

* * *

لكن . . . وبعد كل هذا الذي صنعتة العلمانية بالمسيحية الأوروبية
وبالإنسان الغربي . . . والتي أثمرت « كنائس خائنت مسيحيتها » -
كما كان يقول شيخنا محمد الغزالي [١٣٣٥-١٤١٦هـ ١٩١٧ -
١٩٩٦م] . . . بعد كل هذا الذي حدث . . . وثمراته الكارثية . . . تأتي
الوثيقة الفاتيكانية ساعية وداعية إلى علمنة الإسلام والمجتمعات
الإسلامية . . . ومضمة على أن تتجرع - نحن المسلمين - كأس
المسموم - كأس العلمانية - الذي أصاب المسيحية الأوروبية
بالإعياء ، وكاد أن يطوى صفحتها من الوجود!..

ففي هذه الوثيقة دعوة صريحة للكنائس الشرفية كي تتحالف
مع العلمانيين المسلمين لعلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية . . .

● فهي تشكو - في البند ١٠٩ - من « أنه لا توجد علمانية في
الدول ذات الغالبية الإسلامية ، باستثناء تركيا . فالإسلام هو
عادة دين الدولة ، والمصدر الرئيسي للتشريع » .

● وفي البند ٢٥ تقول الوثيقة :

« يجب على الكاثوليك أن يعملوا على تقديم أفضل
مساهمة في تعميق مفهوم الدولة العلمانية الإيجابية ، وذلك
بالاشتراك مع باقي المواطنين المسيحيين ، وأيضاً مع المسلمين
المفكرين والمصلحين ، وبذلك سيساعدون في تخفيف
الصبغة الشيوعية (الحكم باسم الله) لبعض الحكومات ،

ويعمل على تنمية ديمقراطية سليمة ، علمانية إيجابية . . تميز
بين كل من النظام الدينى ، والنظام الزمنى . .
وهى - الوثيقة - تلح على هذا المطلب والمسمى - فى البند
١٠١ - فنقول :

« إنه من المهم أن نشرح معنى العلمانية ، وشرعية
« استقلال الواقع الزمنى » . .

وتنسى الكنيسة الكاثوليكية - التى صاغت هذه الوثيقة ، التى
تدعو فيها إلى علمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية - تنسى
حقائق الفوارق الجوهرية الحاسمة بين الإسلام وبين المسيحية
وبين فلسفة الحكم فى الإسلام وفلسفته فى الدولة الكهنوتية
الكاثوليكية الأوروبية ، التى جاءت العلمانية رد فعل لها وثورة
عليها . .

● فالإسلام لم يعرف عبر تاريخه - لا فى الفكر ولا فى التطبيق -
الحكومة النيوقراطية ، التى تحكم بالتفويض الإلهى ، ونياية
عن السماء . . وإنما عرف نظام الحكم الإسلامى « نظرية
الاستخلاف » . . فالأمة - وليست الدولة - هى السُّتَخْلَفَةُ عن
الله - سبحانه وتعالى - فى إقامة التشريعات وتطبيقها . . وهذه
الأمة هى مصدر السلطات ، التى تختار السُلطة والدولة
- بالشورى والاختيار والبيعة - أى بالانتخاب - . فهذه الدولة

- السلطة - نائية عن الأمة - وليس عن الله - . . . وهى مسئولة أمام الأمة ، التى تختارها . . . وتراقبها . . . وتحاسبها . . . وتعزلها عن الاقتضاء . . . فليس فى الإسلام - لا فى الفكر ولا فى التطبيق - حكم ثيوقراطى على الإطلاق . . . بل لقد مثل الإسلام ثورة ضد هذه الثيوقراطية فى الحكم . . . وضد وجود الكهانة ومنصب « رجل الدين » أصلاً ! . . .

وإذا كانت فلسفة الحكم الثيوقراطى قد عرفت « اللاهوت » و« الدولة الكهنوتية » - حيث لا وجود « للأمة وسلطانها » .

وإذا كانت فلسفة الحكم العلمانى قد عرفت « الأمة » و« الدولة النائية عن الأمة » - حيث لا وجود للشرعية . . .

فإن النظام الإسلامى ، وفلسفته ، قد تميزا عن هذين النظامين - الثيوقراطى . . . والعلمانى - تميزاً جوهرياً ونوعياً . . . إذ عرف النظام الإسلامى - وجمع - بين « الشريعة الإلهية » . . . و« الأمة المستخلفة لإقامة هذه الشريعة » . . . و« الدولة المختارة من الأمة » ، التى تحكم باسمها ونيابة عنها ، وليس نيابة عن السماء . فالحكم لله فى التشريع . . . والحكم للإنسان - الذى استخلفه الله - لإقامة وتطبيق هذا التشريع . . . حتى لقد قال الإمام ابن حزم الأندلسى [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] كلمته الجامعة : « إن من حكم الله أن جعل الحكم لغير الله ! »

● كذلك غاب عن الذين يسمعون - بهذه الوثيقة - ويتحالف الكنيسة مع العلمانيين المسلمين - إلى علمنة الإسلام - الفارق الجوهرى بين الإسلام وبين المسيحية فى ميدان السياسة والدولة وتدير شئون الاجتماع - .

لقد فصلت المسيحية بين ما لله وبين ما لقيصر . . ووقفت تعاليمها عند ما لله . . وتركت ما لقيصر لقيصر . . وأعلن المسيح - عليه السلام - أن مملكته ليست فى هذا العالم . . وأصبحت رسالة كنيسة الحقيقية محصورة فى خلاص الروح ومملكة السماء - .

ومن هنا ، فإذا جاءت العلمانية لتتغف بالكنيسة ولاهوتها عند ما لله . . ولتنتزع من هذم الكنيسة ما لقيصر - بعد تجاوزها حدودها واستيلائها عليه فى العصور الأوربية الوسطى والمظلمة - كان ذلك أمراً مشروغاً فى الإطار المسيحى - فالعلمانية - هنا - ترد الكنيسة إلى حدودها - إلى ما لله ، وخلاص الروح - وتجعل تدبير الدولة والمجتمع إلى القانون الرضى ، الذى ليس له بديل فى الإنجيل واللاهوت . .

أما الإسلام ، الذى تميز « بنظرية الاستخلاف » - الراضية للكهنة الثيوقراطى ، والحكم بالحق الإلهى ، وباسم السماء - فإنه - فى التدابير الاجتماعية والسياسية - ليس مسيحية ، تدع ما لقيصر لقيصر ، ونكتفى بما لله . . وإنما هو منهاج شامل

للدين والدنيا . . للدين والدولة . . للفرد والطبقة والأمة . . للدنيا
والآخرة . . للذات والآخر . . إنه الدين الذى يجعل المجتمع
والوطن والسياسة والدولة جميعها لله ، تديرها وتديرها الدولة ،
المستخلقة عن الأمة ، والتي تحكم بما أنزل الله .

وفى تحديد هذا المنهاج الإسلامى الشامل يقول القرآن
الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِاللهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له . وَيَذِّبْكَ أَمْرُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿
(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣) - ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة: ٤٨) -
﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ
يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: ٤٩) - ﴿ ثُمَّ
جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾ (الحج: ١٨) - ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) - ﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩) - ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنْ

الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ^١ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿ (النساء: ٨٣) . .

فالإسلام « عقيدة - إيمان » - و« شريعة - منهاج لكل مبادئ الحياة » . . وفي التخلي عن « الشريعة » قطع لإحدى رتبي الإسلام . . بل لقد علق القرآن صحة الإيمان على إقامة الشريعة ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . .

بهذا تميز الإسلام عن المسيحية - التي لم تأت بشريعة . . وإنما وقفت عند « التعاليم » - وبنى السلطة الدينية - الثيوقراطية . . وهدمها تميز نظام الحكم الإسلامي عن الكهانة الكنسية التي مارستها الكنيسة الكاثوليكية . . والتي ورثتها - لا عن المسيحية - وإنما عن الفرعونية والكسوية - في التاريخ القديم . !

ولقد أوجز الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] تميز فلسفة الإسلام في الحكم هذه عن « الثيوقراطية الكنسية » وعن « العلمانية » - كليهما - فقال :

« إن الإسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية التي عرفتها أوربا ، فليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير ، والتفكير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لكل المسلمين ، أذناهم وأعلاهم . .

والأمة هي التي تولّى الحاكم ، وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي تخلعه متى رأت ذلك في مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط بين الخليفة عند المسلمين ، بما يسميه الإفرنج « ثيوكرتيك » ، أي سلطان إلهي ، فليس للخليفة - بل ولا للقاضي أو المفتي أو شيخ الإسلام - أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية ، قدرها الشرع الإسلامي ، فليس في الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه ، بل إن قلب السلطة الدينية ، والإتيان عليها من الأساس ، هو أصل من أصول الإسلام ..

والإسلام : دين وشرع ، فهو قد وضع حدوداً ، ورسم حقوقاً ، ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضي بالحق ، وصون نظام الجماعة .. والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ، ويأخذ على يده في عمله ، فكان الإسلام - [بذلك] - : كمالاً للشخص ، وألفة في البيت ، ونظاماً للملك ، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم تدخل فيه ..^(١)

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] ج ٣ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦

٢٨٧ ، ٢٨٨ دراسة وتحليل دكتور محمد غمارة - طبعة بيروت سنة

١٩٧٢م

.. لذلك .. فإن السعى الفاتيكاني إلى علمنة الإسلام
والمجتمعات الإسلامية ، هو معنى إلى مسخ الإسلام كي يكون
مسيحية ، يدع ما لقيصر لقيصر ، ويقف عند ما لله . . .
ومحاولة للوقوف بالإسلام عند العقيدة والأخلاق ، مع استبعاد
الشرعية - أي السعى لقطع إحدى رتتي الإسلام !! - ودون ذلك
خرق القتاد . . .

• • •

● أما ادعاء الوثيقة الفاتيكانية - في البند ١١٠ - :
« أن الدولة الإسلامية - في بعض البلدان - تطبق الشريعة ،
ليس فقط في الحياة الخاصة ، بل أيضاً في الحياة الاجتماعية ،
حتى على غير المسلمين ، مما ينتج عنه تجاهل حقوق
الإنسان » .

فهو ادعاء ملئ بالجهل . . . وبالاقتراء . . .
فالشريعة الإسلامية لم تنزل للحياة الخاصة وحدها . . . وإنما
نزلت للحياة الاجتماعية والسياسية أيضاً . . . وبعبارة رائد التنوير
الحديث رفاعة رافع الطهطاوي :

« ومن أمعن في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو
من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية ، حيث يربوا
للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية ،
كالشركة ، والمضاربة ، والقرض ، والمخاطبة ، والعارية ،
والصلح ، وغير ذلك . . . ومن المعلوم أن بحر الشريعة الغراء ،

على تفرع مشاريعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى . . ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ، لا على سبيل التهاون ولا على سبيل الشذوذ ، بل سارت على مشاعب المذاهب لمجاراة مجريات النوازل والنواب . . لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع . . فالشرع جامع لأنواع المطلوب ، من المعقول والمنقول ، مع ما اشتمل عليه من بيان السياسات المحتاج إليها فى نظام أحوال الخلق ، كشرع الزواج المفضية إلى حفظ الأديان والعقول والأنساب والأموال ، وشرع ما يدفع الحاجة على أقرب وجه يحصل به الغرض ، كالبيع والإجارة والزواج وأصول أحكامها ، فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى ، فلا عبرة بالنفوس القاصرة الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسناً وتقبيحاً ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود بتعدى الحدود ، فينبغى تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع الشريف لا يحظر جلب المنافع ولا درء المفساد ، ولا ينافى المتجددات المستحسنة التى يخرعها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة . . .^(١)

(١) رفاة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] ج ١ ص ٣٦٩ ، ٥٤٤ وج ٢ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

تلك هي شمولية الشريعة الإسلامية لكل ميادين الحياة ..
الخاص منها والعام .. الفردى منها والاجتماعى على حد سواء ..
وتلك هي أبوابها المفتوحة للجديد والتجديد ..

● أما دعوى - الوثيقة الفاتيكانية - تطبيق بعض الدول الإسلامية ،
هذه الشريعة « على غير المسلمين » ، مما ينتج عنه تجاهل
حقوق الإنسان ، . . فهي دعوى ظالمة ، لا ظل لها من الواقع
فى أى من ديار الإسلام - لا تاريخياً . . ولا فى هذا العصر
الذى نعيش فيه - . . ذلك أن الشريعة الإسلامية لا تطبق على
غير المسلمين إلا حيث لا توجد « تعاليم مسيحية » . . وذلك
فى مثل « الميراث » الذى هو بالنسبة للمسيحي « قانون
وضعى » ، لا بديل له فى الإنجيل واللاهوت . . فهو مما ترك
لقبصر ..

وكذلك كل أحكام « فقه المعاملات » الإسلامى . الذى هو
ثمرة لاجتهاد الفقهاء ، المحقق للمصالح المدنية والاجتماعية
المعتبرة للأمة ، فى ضوء ثوابت الشريعة وكتلياتها وفلسفتها فى
التشريع ، النابعة من منظومة القيم والأخلاق التى اتفقت فيها
وعليها كل ديانات السماء ..

إن الشريعة - كما يقول الإمام ابن القيم [٦٩١ - ٧٥١هـ -
١٢٩٢ - ١٣٥٠م] هى عدل كلها ، وحكمة كلها ، ومصلحة كلها ..

والسياسة الشرعية هي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى
الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يشرعها الرسول ولا نزل بها
الوحي . . .^(١)

فوحدة المحكمة ووحدة القانون - وكذلك وحدة المدرسة - في
المجتمعات الإسلامية - بالنسبة لجميع المواطنين - لا تمثل جوراً
على تعاليم المسيحية وعقائد المسيحيين في هذه المجتمعات
الإسلامية بحال من الأحوال . . .

لقد تركت المسيحية ما تقيصر لقيصر ، واكتفت بما لله . أما
الإسلام ، فلقد جمع بين ما لقيصر وما لله . . . لكنه حصص
المسلمين بما جاء فيه لله . . . وعمم ما لقيصر - الذي تركته
المسيحية - على كل الأمة والمجتمع والوطن . . . فوحد القانون
والمحكمة ، دون أن يكون في ذلك أي افتئات على ما جاء
بالمسيحية مما هو لله . . .

وعن هذه الحقيقة - بالغة الأهمية - يقول أبو القانون المدني
الحديث في الشرق الإسلامي - القاضي العادل والفقيه الفذ
الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا [١٣١٣ - ١٣٩١ هـ - ١٨٩٥
- ١٩٧١ م] :

(١) ابن القيم [إعلام الموقعين عن رب العالمين] ج ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ . و [الطرق الحكمية في السياسة الشرعية]
ص ١٧ - ١٩ - تحقيق : الدكتور جميل غازي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

« إن الإسلام دين ودولة . وهذه حقيقة تغيب عن بعض الباحثين ، فيعتقدون أن الإسلام ليس إلا ديناً منزلاً ، ويدفعهم إلى هذا الخطأ تقريب خاطئ ما بين الإسلام والمسيحية ، فالمسيحية أعطت ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، ويظنون أن الإسلام كالمسيحية في ذلك ، ولكن الإسلام يختلف عن المسيحية اختلافاً جوهرياً ، فقد جمع ما لله وما لقيصر ، وخص المسلمين بما لله ، وجعل ما لقيصر عاماً واجب التطبيق على الكافة مسلمين وغير مسلمين .

والأصل في أحكام الشريعة أنها خطاب لجميع الناس - مسلمين وغير مسلمين - فهي إذن أحكام إقليمية ، إذ هي واجبة التطبيق في دار الإسلام على جميع المقيمين فيها من مسلمين وغير مسلمين . . وذلك باستثناء مسائل قليلة ، هي الزواج ، ونفى المهر ، وتقويم الخمر والخنزير - تتصل بالعقيدة والدين ، يتركون فيها وما يدينون^(١) .

أى أنه عندما نكون هناك تعاليم دينية مسيحية - ما هو الله - فإن حقوق الإنسان التي قررها الإسلام - منذ ظهوره وحتى الآن - هي التي تقررها القاعدة الشرعية : « يتركون وما يدينون » .

(١) دكتور عبد الرزاق السنهوري [إسلاميات السنهوري باشا] ج ٢ ص ٧٠٣ -

٧٠٥ . دراسة وتحقيق . دكتور محمد عمارة ، طبعة دار السلام . القاهرة

سنة ٢٠١٠ م .

ولقد أبصر هذه الحقيقة - التي افترت عليها الوثيقة القاتيكانية - عقلاء المسيحيين في الشرق الإسلامي ، الذين اختار ٦٣٪ منهم - بمصر - تطبيق الشريعة الإسلامية - بما فيها الحدود - في منظومة القوانين المصرية - في استطلاع للرأى العام أجراه « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناائية » سنة ١٩٨٥ م.^(١)

هؤلاء العقلاء المسيحيين الذين كتب واحد من مفكرهم ومثقفهم - هو الأستاذ صادق عزيز - حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على المسيحيين ، فيما لا بدبل له فى الإنجيل - فقال : « إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام ، ويومها كان المسلمون هم الأقلية ، وكان الأقباط هم الأغلبية ، ومع ذلك كانت إسلامية ، بل إن مصر فى تاريخها لم تكن دولة « قبطية » حتى من قبل الإسلام ، فهى تقع دائماً تحت الحكم الرومانى أو البيزنطى أو المقدونى ، أما الحكم القبطى فلم نسمع عنه أبداً ..

وفى ما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقاً مع المسيحية ، وذلك لعدة أسباب ، أهمها :

(١) [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] ص ٨٤ طبعة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناائية - القاهرة سنة ١٩٨٥ م.

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية ، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية ، وعلينا قبول ذلك ، بل والترحيب به ، عملاً بقول المسيح : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جداً من الأحوال مع شريعة العهد القديم ، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها . . بل ليكملها . .

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية ، عملاً بقول المسيح : « مملكتى ليست فى هذا العالم » ، ومن ثم ترك للحكام أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية ، وأمرنا بأن نعطي ما للحكام للحكام^(١) .

فكل حقوق الإنسان المسيحى - حقوق المواطنة وواجباتها - مصانة ومرعية ومقننة . . وكل حقوق الدينية مصانة ومرعية . .

بل إن المقارنة بين حقوق الأغليات المسلمة والأقليات المسيحية - فى عدد من البلاد الإسلامية - تبرز امتيازات المسيحيين على المسلمين ! . . وعلى سبيل المثال :

● فالكنائس مفتوحة على مدار الليل والنهار . . بينما المساجد - فى بعض البلاد - تغلق عقب الصلاة .

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية : جذورها وأماها . دراسة تاريخية وروية تحليلية] ص ١٣٧ - ١٤١ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

- ومنبر الكنيسة حر .. ومنابر المساجد مقيدة بسياسات الحكومات .
- وأوقاف الكنائس والأديرة والجمعيات المسيحية قائمة ومضانة ، تحقق الاستقلال المالي واستقلال القرار لهذه المؤسسات . . بينما الأوقاف الإسلامية - فى بعض البلاد - استولى عليها الإصلاح الزراعى ، واستأثرت بها الحكومات .
- والشباب المسيحى حر فى ممارسة كل ألوان الدين ، بما فى ذلك الرهبنة فى الأديرة - التى غدت مؤسسات إقطاعية - بينما القيود مفروضة على اعتكاف بعض الشباب المسلم ليالى فى رمضان - فى بعض البلاد - ! . . بل إن بعض البلاد الإسلامية قد جعلت إطلاق اللحية لغير العجائز يحتاج إلى تصريح ! . .
- وكثير من بطارقة الشرق الإسلامى يمارسون الزعامة السياسية - على خلاف نعاليم الكنيسة واللاهوت - حتى لترشك كنائسهم أن تكون الواحدة منها « دولة » داخل الدولة . . وأحياناً فوق الدولة . . تمتنع عن الخضوع للقانون وتنفيذ أحكام القضاء! . . بينما مؤسسات العلم الإسلامى - بنت الدين الشامل متهاججه لكل متاحى الحياة - تقف عند حدود العلم والتعليم والوعظ والإرشاد . . وتكاد أن تترك ما لقيصر لقيصر ، مكتفية ببعض ما لله !! . .

ومع هذا ، تسعى الوثيقة الفاتيكانية لعلمنة الإسلام
والمجتمعات الإسلامية - وتحكم الأقلية في الأغلبية ! . . وتبأكي
على حقوق الإسلام المسيحي في ظل شريعة الإسلام ! . .



ومما يزيد هذه الدعوة الفاتيكانية إلى علمنة الإسلام
والمجتمعات الإسلامية ، غرابة وشذوذاً ، أنها - في الوقت الذي
تريد فيه للإسلام التخلي عن الشريعة . . والوقوف عند الشعائر
والعبادات - تدعو - هذه الوثيقة - إلى تسييس المسيحية وتدين
المسيحيين والمجتمعات التي يعيشون فيها ! . .

● ففى البند ١٠٢ تقول :

« وفي هذه الظروف تقوم مساهمة المسيحي في أن يقدم
ويعيش قيم الإنجيل . . وهي لا تطلب للمسيحي « أن يعيش قيم
الإنجيل » لنفسه وأسرته فقط . . وإنما للمجتمع الذي يعيش فيه . .
وبعبارة البندين ٤٦ ، ١١١ :

« فكل مسيحي في وطنه هو حامل رسالة المسيح
لمجتمعه . . وللمسيحي إسهام نوعي لا غنى عنه في
المجتمع الذي يعيش فيه ، لثريه بقيم الإنجيل ، ولذلك
ينبغي على التعليم المسيحي أن يكون ، في الآن نفسه ،
مؤمنين مواطنين ، فعالين في مختلف مجالات المجتمع » .

والوثيقة لا تدع مجالاً للشك في أنها تريد «التزاماً سياسياً بقيم الإنجيل ورسالة المسيح» . . . فتقول :

« فالالتزام السياسى الخالى من القيم الإنجيلية هو شهادة مضادة ، ويسبب ضرراً أكثر مما يعمل خيراً » .

وتطلب - هذه الوثيقة الفاتيكانية - فى البند ١٠٨ - هذا « الالتزام السياسى بقيم الإنجيل ورسالة المسيح » من العلمانيين المسيحيين ، فتقول :

« وحبذا لو التزم العلمانيون المسيحيون فى المجتمع دائماً أكثر » .

فهى - بهذا - تطلب تدين الالتزام السياسى للمسيحي - الذى تطلب منه مسيحيته أن يدع ما لقيصر لقيصر - وتدعوه للالتزام ، فى السياسة ، بقيم الإنجيل ورسالة المسيح . . . بينما تحرم ذلك على المسلم - المؤمن بالدين الشامل للسياسة والدولة والاجتماع والاقتصاد - فإذا راعى هذا المسلم قيم القرآن فى الالتزام السياسى ، سمى ذلك « إسلاماً سياسياً » و« أسلمة » ، ووضع ذلك فى إطار المخاطر والمحرمات والمحظورات !! . . .

بل إن هذه الوثيقة ، التى جعلت عودة المسلمين إلى « إسلام الأصول » - الإسلام الذى حرر المسيحية الشرقية من القهر الرومانى الذى دام عشرة قرون . . . والذى حرر أوطان الشرق

وترك شعوبه وما يدينون ، حتى أن نسبة الإسلام بين رعية الدولة الإسلامية - بعد قرن من الفتوحات الإسلامية - كانت ٢٠٪ فقط لا غير!^(١)

تعتبر - هذه الوثيقة - عودة المسلمين إلى «إسلام الأصول» هذا - كخيار حضارى ونهضوى ، بديل عن نماذج التحديث الغربية - تعتبر ذلك «أصولية» مرفوضة . . وفي ذات الوقت تطلب - هذه الوثيقة - من المسيحيين العودة إلى الأصول والجذور ، فتقول - فى البند ٢٩ - :

«علينا أن نعود إلى نموذج الجماعة المسيحية الأولى»

فالعودة إلى «إسلام الأصول» : أصولية مرفوضة . . والبعد السياسى للإسلام - بمعنى السيادة الشرعية - خطر يجب التصدى له . . بينما العودة إلى «نموذج الجماعة المسيحية الأولى» : فريضة فاتيكانية . . والالتزام السياسى المسيحى فى المجتمع بقيم الإنجيل ورسالة المسيح واجبات يدعوا إليها الفاتيكان! . .

(١) فيليب فارغ ، يوسف كرياج (المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى) ص ٢٥ ، ٤٦ ، ٤٧ . ترجمة بشير السباعى . طبعة دار مينا - القاهرة سنة ١٩٩٩م

المسيحية والسياسات الغربية

● في التاريخ الحديث - ومنذ غزوة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] لمصر والشرق [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] ارتبطت المسيحية - الإنجيلية والكاثوليكية - في الشرق بالسياسات الغربية للدول الاستعمارية .

● فعندما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م ، ذهب الملك «شارل العاشر» [١٧٥٧ - ١٨٣٦م] - ملك فرنسا العلمانية! - إلى الكنيسة ليشكر الرب - واستقبله مطران باريس - وخطب في حضرته فقال :

«إننا نحمد الله على كون الملة المسيحية قد انتصرت نصره عظيمة على الملة الإسلامية ، ولا زالت كذلك»^(١)

وكانت فرنسا العلمانية هذه هي التي عملت على زرع الكاثوليكية في الجزائر ، التي لم يكن بها مسيحي واحد قبل الاحتلال! .. وهي التي حولت عددا من المساجد الجزائرية الكبيرة إلى «كاثيدراتيات»! .. وهي التي خطب قادتها - السياسيون والدينيون - سنة ١٩٣٠م - في الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر ، فقال أحد كبار الساسة :

(١) رفاة الطيطاوي [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ٢٩٩ .

« إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن
ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ، وأن
نقتلع العربية من ألسنتهم ! » .

وخطب سياسى آخر ، فقال :

« لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة
فى هذا الوطن ، فلقد قام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون ، ومع
ذلك خرجوا منه ، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو
تشجيع جنازة الإسلام بهذه الديار ! » .

وخطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ، فقال :

« إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر ، وإن عهد الصليب قد
بدأ ، وسيستمر إلى الأبد . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر
مهلاً للدولة مسيحية مُضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها
الإنجيل » ^(١) .

● وقبل استعمار نيجيريا - أكبر البلاد الإسلامية الإفريقية -
وغيرها من المستعمرات الإفريقية - لم يكن بهذه المستعمرات

(١) دكتور محمود قاسم [الإمام عبدالحميد بن باديس : الإمام الروحى لحرب
التحرير الجزائرية] ص ١١ ، ٢٢ طبعة دار المعارف - القاهرة . وانظر -
كذلك - كتابنا [من أعلام الإحياء الإسلامى] ص ١٢٤ ، ١٢٥ . طبعة
مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .

مسيحي واحد! .. قزوع الاستعمار الغربي وسياسات
حكوماته المسيحية حيث بلغت جيوش الاستعمار وسياسات
المستعمرين الغربيين! ..

● وفي واقعا المعاصر ، برزت العلاقات العضوية بين الغزو
الغربي المعاصر لبلاد الشرق الإسلامي وبين المسيحية - كما
تؤمن بها الكنائس المسيحية الغربية الكبرى - .

- فاليسين الديني الأمريكي - الذي قاد الغزو الغربي للعراق
في مارس سنة ٢٠٠٣م - قد أعلن - بلسان الرئيس الأمريكي
" بوش - الصغير " - أن الحرب على العراق هي حرب مقدسة ،
بمقاييس القديس « أوغسطين » [٣٥٤ - ٤٣٠م] والقديس « توما
الأكويني » [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] و « مارتين لوتر » [١٤٨٣ -
١٥٤٦م] ^(١) .. وأن هذه الحرب هي للقضاء على صدام حسين
[١٩٣٧ - ٢٠٠٦م] - فهو خنصر بابل ، الذي يهدد إسرائيل ،
ويعرقل عودة المسيح! ..

بل لقد استخرج هذا اللاهوت الكنسي الأمريكي لغزو العراق
وتدميره مرجعية من الكتاب المقدس .. فكتب القس « دافيد
بريكنر » : « إننا نعرف أن تدمير بابل - الذي ورد في الإصحاح ١٨
- يعني تدمير العراق! .. »

(١) [نيوزويك] عدد ٣/١١/٢٠٠٣م .

وكتب القس « تشارلز داير » - أستاذ اللاهوت في جامعة « دالز » - يقول : « إن إصحاح إشعيا ١٣ يشير إلى قيام صدام حسين ، وإلى غزوه للكويت ، وذلك لإقامة قاعدة للهجوم على إسرائيل .. فصدام هو خليفة « نبوخذنصر » [٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م] الذي هزم الإسرائيليين وسباهم إلى بابل ، ودمر الهيكل) وذلك بسبب عداة صدام لإسرائيل ، وبسبب نواياه لإعادة بناء بابل ^(١) .

- وفي ركاب الجيش الأمريكي الغازي للعراق ، وعلى دباباته دخل إلى العراق ثمانمائة منصر أمريكي « لنشر المسيحية ، لا سيما في بغداد » ! ..

- ولقد كان « بوش - الصغير » - القائد العام لقوات الغزو الأمريكي / الغربي للعراق ، يقرأ - في المكتب البيضاوي - بالبيت الأبيض - صباح كل يوم - كتاب عظات دينية لقس استرالي كان يحرض الجنود الإنجليز على غزو مدينة القدس سنة ١٩١٧م ! ..

كما كان يعتقد بأن صراعه مع صدام حسين هو الذي تحدث عنه الإنجيل - الصراع بين المسيح والشیطان - ! .. ولقد استخرج كلمة « الأشرار » - التي وصف بها العراق والدول الخارجة عن الفلك الأمريكي - من مفرد المزامير ! .. كما أن قيادة الغزو الأمريكي إنما كانت تتم - بالبيت الأبيض - في أجو من

(١) محمد السالك [الدين في القرار الأمريكي] ص ٥٢ طبعة بيروت سنة ٢٠٠٣م .

الصلاة!'' بهذا « اللاهوت الإنجيلي » تم الغزو الأمريكي /
الغربي للعراق ! .

- وفي أفغانستان ، التي اجتاحتها الأمريكان - مع حلف الناتو -
في أكتوبر سنة ٢٠٠١ م - زحف عليها المنصرون من كل الكنائس
الغربية . . بل ومارس جنود الغزو توزيع الأناجيل ، وعمليات
« اصطلياد العقول الأفغانية للمسيحية » - مع اصطلياد رقاب
الأفغان المقاومين للغزاة ! . وقامت كنيسة « صيمول » الكورية
الجنوبية - التابعة للكنيسة المشيخية الأمريكية - بدور بارز في
عملية تنصير الأفغان ! .

هكذا زحف التنصير للمسلمين في ركاب الجيوش الغربية
الغازية لعالم الإسلام ، في الواقع المعاصر ، كما في الغزوات
الغربية لإفريقيا والشرق في عصرنا الحديث . . وهكذا ارتبطت
المسيحية بالسياسات الاستعمارية طوال هذا التاريخ . .

● ولقد تركت هذه الحقيقة انطباعاً واعتقاداً راسخاً لدى الأفارقة
والشرقيين : أن المسيحية هي ديانة الغرب الاستعماري
والرجل الأبيض . . حتى لقد اعتقد كثير من الأفارقة أن للرجل
الأبيض مسيحه الأبيض . . ومن ثم فلا بد وأن يكون للسود
مسيحهم الأسود !

(١) (نيوزويك] عدد ٢٠٠٣/٣/١١ م

أى أن المسيحية قد ارتبطت بالاستعمار الغربى . وارتبط نشرها والتبشير بها بالغزو الغربى والسياسات الاستعمارية الغربية ، منذ مطالع الغزو الغربى للشرق قبل خمسمائة عام . . .

● ولقد أصبحت الكنائس الغربية ، الساعية إلى زرع المسيحية فى البلاد الإسلامية ، تعاني من هذه «العقدة» - عقدة ربط المسيحية بالاستعمار ، وربط التنصير بقوة السياسات الغربية المهيمنة على النظام الدولى . . . الأمر الذى فرض أطواقاً من العزلة على التنصير والمنصرين ، وجعل الذين يقعون فى حبانلهم يبدون - فى مجتمعاتهم - «خونة» سقطوا فى ديانة المستعمرين الغربيين ! . ولقد غدا البحث عن حلول لهذه «العقدة» ، والسعى لإفناع ضحايا التنصير - فى البلاد الشرقية - بفك الارتباط بين النصرانية وبين سياسات الهيمنة الغربية ، أصبحت هذه القضية بندا بارزاً فى جدول أعمال الكنائس الغربية الساعية إلى تنصير المسلمين . . .

لقد اعترفت وثائق «مؤتمر كولورادو» - الذى عقدته الكنائس الأمريكية - لتنصير المسلمين - فى مايو سنة ١٩٧٨ م - وهو أخطر مؤتمرات التنصير - اعترفت «بحقيقة أن استراتيجية التنصير الأوربية - الأمريكية كانت عموماً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقلية الاستعمارية . . . ولذلك ، فإن المسلم لا ينظر إلى

النصرانية على أنها فقط كُفّر دينى ، بل إنه يراها نظيرة للاستعمار وللحضارة وللثقافة الغربية»^(١)

وللتغلب على « حقيقة ارتباط التنصير بالاستعمار » ، أعلنت وفاق مؤتمر كولورادو عن تبنيها للنفاق والميكافيلية ، كى توهم الشرقيين بفك الارتباط بين المسيحية وبين السياسات الغربية . . . فقالت :

« إن الشرط الأساسى لنجاح التنصير هو أن نتوب من طبيعة علاقاتنا الغربية النصرانية التاريخية والحالية مع العالم الإسلامى ، وإذا لم نخط هذه الخطوة فلن يفيدنا التنصل من مسئوليتنا عن الجرائم البشعة التى ارتكبتها الصليبيون ضد المسلمين ، ولا عن الإرهاب الصهيونى ضد المسلمين ، فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك فى المسئولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا أبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال وتنصرف بطريقة مختلفة عنها » . .

(١) [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى] - وفاق مؤتمر كولورادو - ص ١٧٠ طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى - مالطا - سنة ١٩٩١ م .
والنظر كتابنا [العازة الجديدة على الإسلام] ص ٥٧-٧٠ طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .

ثم أعلنت - هذه الوثائق - أن هذه «التوبة» هي ميكافيلية منافقة، اقتضتها «ظروف» التنصير، التي تتطلب «إظهار» فك الارتباط بين النصرانية وبين السياسات الغربية. فقالت: «إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شروطهم - [شرط الشرقيين] - وليس وفق شروطنا، وبمعنى آخر، فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعاً من أعمال «الخيانة» لأمننا ومجتمعاتنا»^(١).

هكذا حاول المنصرون الأمريكيون - في مؤتمر كولورادو - «إظهار» فك الارتباط بين المسيحية والتنصير - وبين السياسات الاستعمارية الغربية.

وجاء الشق الآخر للمسيحية الغربية - الكنيسة الكاثوليكية - لتحاول ذات المحاولة - في هذه الوثيقة الفاتيكانية - فادعت أن الغرب ليس مسيحياً، وإنما هو علماني. ومن ثم فلا وجه لربط المسيحية بالسياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي وقضاياه. فقالت - في البند ١٠١ -:

«في معظم الأحيان توحد بلادنا - [الشرقية] - بين الغرب والمسيحية، فإذا كان صحيحاً أن الغرب له تقليد مسيحي، وأن جذوره مسيحية، فمن الواضح أيضاً أن حكوماته اليوم علمانية،

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي] - وثائق مؤتمر كولورادو، ص ١٣٩، ٥٥٣.

ولانتسألهم السأسة الإأمان المسأأى ، بل كأشراً ما أأارب
بعض أعبأرأه ، لكن العالم الإسلامأ لا أفرق بسهولة بآن
الأانب السأسى والأانب الأأنى ، وهذا ما أأسبب فى ضرر
كأآر لكنائس منطقة الشرق الأوسط ، لأن الرأى العام
الإسلامأ أأهم فعأأ الكنأسة بأة أأأارات سأسأة للدول
الغربأة .

ونأن نقول : إأه مما لا شك فآه أن أألبأة الدول الغربأة هأى
دول علمأأة . لكنها علمأأة فى أظمها الأأماعأ والسأسأة
الأأأأة . . مع بقاء «بعد أأنى» مسأأى ألعب أأواراً - كأأرة
أو صأأرة - فى كأأر من الأأأان - رغم علمأأة هأه الأأوأات
الغربأة . أما فى سأسات هأه الأأوأات الغربأة ، أأأه العالم
الإسلامأ وأأأه الإسلام - أأى فى أأأل مأأمعأأها . . فإأها
صلأأة أأى الأأاع !

- وإلا فمن الذى زرع المسأأأة وكنائسها الغربأة فى
المأأمعأات الشرقأة والإسلامأة . . أأأه هأى ألك الأأوأات
الغربأة ؟ .

- وفى ركأب أية سأسات ، وأة أأوش أأسأر المنأأرون فى
العراق وأفأانستان ؟ . . وأأرها من بلاد الإسلام ؟ . . أأس
فى ركأب السأسات والأأوش أأى أأسأها هأه الأأوأات
الغربأة ؟ .

- وما هو دور الكنائس الغربية في الصراعات الدموية ، وفي
تجارة السلاح بإفريقيا ؟ . . والتي تحقق المصالح الاستعمارية
للحكومات الغربية ؟ .

- وما هو دور السياسات الغربية في التدخل بشئون البلاد
الإسلامية بحجة الدفاع عن الأقليات المسيحية ؟ .

- وما هو دور السياسات الغربية - ومعها سياسة الفايكان -
في التخويف من الإسلام ، وإشاعة أجواء « الإسلاموفوبيا » ؟ .

- وما هو دور السياسات الغربية ، المستندة إلى المسيحية
الصهيونية ، في اغتصاب فلسطين ، وصنع واحدة من كبريات
مأسى العصر الحديث ؟ .

- ولماذا هذا التطابق بين موقف الفايكان من القضية
الفلسطينية ، والرافض حتى لمعاداة الصهيونية . . لماذا هذا التطابق
بين موقف الكنيسة الجامعة وبين السياسات الاستعمارية الغربية
تجاه القضية الفلسطينية ؟ .

● ثم . . إن الشواهد الساطعة تعلن أن السياسات الغربية
— وخاصة منذ سقوط الشيوعية وأحزابها وحكوماتها
ومعسكرها أوائل سنة ١٩٩١ م — قد تعاضمت « اللغة
الدينية » في سياسات هذه الحكومات . .

وفى دراسة باللغة الأهمية نشرتها المجلة الفصلية الرصينة
[شئون دولية] International Affairs - الصادرة فى « كامبردج » -
بإنجلترا - المجلد ٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١ م - نكتشف
الحقائق الكثيرة عن دور الدين فى السياسات الغربية ، وتزايد
« اللغة الدينية » فى تلك السياسات . .

١- « فأوروبا ، التى اعتادت أن تعرف نفسها من خلال تحديد
الآخر . . تعرف نفسها اليوم - بعد سقوط الشيوعية - من
خلال الآخر الإسلامى » .

٢- « ورسوخ الإسلام فى المجال السياسى والاجتماعى ، الذى
يجعله رافضاً للمبدأ المسيحى/الغربى فى الفصل بين ما لله
وما لقيصر ، يجعل الإسلام مستعصياً على العلمانية
الغربية ، ومن ثم هدفا مباشرا للحملة الغربية الجديدة » ١ .
٣- « ونحن فى وقت يسود فيه انطباع قوى بتضاعف الإشارات
إلى المسيحية فى السياق الدولى . . الأمر الذى يعكس
إلى أى مدى يميل الفكر الغربى إلى جعل الحضارة
المسيحية - اليهودية الغربية هى الحضارة المهيمنة ،
وجعل أفكارها مطلقة ، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات
عديدة يعج بها العالم » .

٤- « . . وإنه من الواضح أن الدين أصبح يفتحهم الشئون
الدولية بصورة متزايدة ، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه

فيها . . لقد كان في القرون الماضية يلعب دوراً مركزياً في العلاقات بين الدول ، وفي حياتها الداخلية ، وهو إن تراجع عن الدور المركزي في القرن العشرين ، إلا أنه يعود - بعد سقوط الشيوعية - ليقترحم الشئون الدولية بصورة متزايدة .

٥- « يصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين في كل بلد أوربي موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوربية حماساً ، وأن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوربي - « كونراد أديناور » [١٨٧٦-١٩٦١م] و« السيد دي جاسبري » [١٨٨١-١٩٥٤م] و« روبرت شومان » [١٨٨٦-١٩٦٣م] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين ، ومن الكاثوليك المخلصين . »

٦- « وإن الإشارات إلى المسيحية ، في سياق دولي ، قد تضاعفت في وسائل الإعلام الغربية قبيل سقوط الشيوعية سنة ١٩٩٠م . »

٧- « وأن الكنيسة قد لعبت دوراً مهماً في إحداث التغيير السياسي في بولندا وألمانيا الشرقية . . وإلى حد ما في تشيكوسلوفاكيا . . . »

٨- « وأن دور المنشقين المسيحيين في مقاومة النظام السوفيتي لم يكن ضعيفاً . . ولقد كان مذهباً حقاً سرعة

توجه المجتمع إلى الكنيسة الأرثوذكسية في بحث عن
البديل الذي يملأ فراغ الأيديولوجية الشيوعية .

٩- « وبذوبان الستار الحديدي اكتشفنا أوربيين يشاركوننا
ميراثنا الحضاري والديني .. فالتراث المسيحي عنصر
مهم في الثقافة الغربية التي نشترك فيها مع هؤلاء
الأوربيين الشرقيين » .

١٠- « وإن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وهي منظمة عبر
قومية ، كثيراً ما يدلى رئيسها الروحي بيانات متكررة
تمس العلاقات الدولية ، يرتبط في كثير منها تعبير
« المسيحية » و« أوربا » بصورة وثيقة » .

١١- « وفيما يتعلق بالصدام بين أرمينيا - [المسيحية] -
وأذربيجان - [المسلمة] - فإن الرواية الأرمنية للأحداث
تحظى دوماً في الغرب بمصداقية أكبر من الرواية
الأذربيجانية » .

١٢- « ولأن إسرائيل تصنف عادة في إطار الحضارة اليهودية
المسيحية ، فإن امتلاكها للأسلحة النووية لا يثير ما يثيره
امتلاك العراق أو إيران لهذه الأسلحة » .

١٣- « والهجرات من شرق أوربا إلى غربها أقل إزعاجاً ، لأن
ميراثهم المسيحي سيجعلهم قابليين للاستيعاب - في
أوربا الغربية - بطريقة لا تتوافر للمهاجرين المسلمين ..
وبسبب الميراث الديني يقوم الاعتراض على قبول تركيا

عضوا كاملاً فى الاتحاد الأوربي ، على عكس دول أوروبا الشرقية» .

١٤ - « إن كل هذه العوامل تدفع أوروبا لأن تعرف نفسها ، ربما ليس من زاوية المسيحية نفسها ، وإنما بالقطع من زاوية التراث المسيحى ، والتركيز بصورة حادة على التمايز والحدود بينها وبين الإسلام »^(١)

تلك حقائق عودة المسيحية - وتزايد « اللغة الدينية » فى السياسات الغربية ، وخاصة منذ سقوط الشيوعية . كما رصدتها الدراسات الاجتماعية والسياسية الرصينة التى نشرتها مجلة [شون دولية] بالتزامن مع سقوط الشيوعية ، واتخاذ الغرب - وحلف الأطلسي - الإسلام عدواً ، حل محل الآخر الشيوعى ، الذى مثل انشقاقاً داخل الحضارة الغربية على امتداد سبعين عاماً !

وهي الحقائق التى أفصحت عنها دراسات لاحقة لمفكرين استراتيجيين أمريكيان - مثل « صمويل هنتنجتون » [١٩٢٧ - ٢٠٠٨م] الذى « كشف » عن أن الصراع القادم - بعد سقوط الشيوعية - إنما هو بين الغرب - السياسى والعسكرى - وبين الإسلام وأمنته وحضارته ! ..

(١) كتب هذه الدراسة العالمان البريطانيان « إدوارد مورتيمر » - الذى كتب دراسته عن « الإسلام والمسيحية » و« إرنست جيلنر » - الذى كتب دراسته عن « الإسلام والماركية » - ونشرتهما مجلة [شون دولية] - فى ملف بالمجلد

٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م

ومثل « فوكوياما » الذى اعتبر انتصار الليبرالية الرأسمالية الغربية على الشيوعية هو « نهاية التاريخ » . . وأن الصراع الغربى مع الإسلام هو « أكثر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية » وذلك لرفض الأصولية الإسلامية للحداثة الغربية ، ومبدئها الأساسى : العلمانية التى تمثل المبدأ المسيحى فى الفصل بين ما لله وما لقيصر^(١)

● ثم . . إن فرنسا العلمانية ، قد أنشأت سنة ٢٠٠٩ م فى وزارة الخارجية قسماً جديداً - ضمن دائرة الدبلوماسية الفرنسية - هو قسم « قطب الأديان » ، وأوكلت إدارة هذا القسم - الدينى - إلى الأستاذ الجامعى الفرنسى - اللبناني « جوزيف مايللا » - الذى كان يدير جامعة باريس الكاثوليكية - والذى صرح : بأن فرنسا التى تعودت على فصل الدين عن الدولة منذ قانون سنة ١٩٠٥م قد أخرها ذلك عن مبادرة إنشاء قسم « قطب الأديان » فى الخارجية الفرنسية . . وأنه قد تبين لها أنه لا بد من معالجة هذه النواحي الدينية - ومنها الموضوع الإيرانى . . والصراع الفلسطينى الإسرائيلى . . ودور التبت فى مقاومة الهيمنة الصينية . . والزحف الكبير للكنائس الإنجيلية - فى أمريكا اللاتينية . . وإفريقيا . .

(١) [نيوزويك] - العدد السنوى - ديسمبر سنة ٢٠٠١ م - فبراير سنة ٢٠٠٢ م .

والأرثوذكسية الجديدة .. والتقارب بين الكنيسة الرومية
والسلطات الروسية .. وقضايا الشريعة الإسلامية ..
وحقوق الإنسان .. والرسوم الكاريكاتورية المسيئة للأديان ..
إلخ .. إلخ^(١) .

* * *

فهل بعد ذلك الذى قدمناه - وهو مجرد إشارات - على دور
الدين .. ودور المسيحية - فى السياسات الغربية ، والعلاقات
الغربية الدولية - ومع الإسلام خصوصاً - يجوز لهذه الوثيقة
الفاتيكانية أن تخدعنا وتضللنا ، فتقول :
« إن السياسات الغربية علمانية ، لا علاقة لها بالمسيحية » !!

(١) صحيفة [الحياة] - لندن - فى ١٩/١٠/٢٠٠٩ م .

الاضطهاد .. والتحريض .. والتدخل الخارجى !

من أخطر ما فى هذه الوثيقة الفاتيكانية : « الروح التى كُتبت بها » .. وهـ النتائج الخطورة والكارثية « التى دعت إليها » ..

● لقد كُتبت بالروح التى صورت المسيحيين بالشرق فى صورة من يعيش فى ظروف من الاضطهاد الذى يماثل وضعهم فى ظل الاحتلال والقهر الرومانى القديم - عندما كانت عقائدهم مجرّمة ومحظورة .. وكنائسهم وأديرتهم مغتصبة .. والرومان يلقونهم إلى النيران وإلى أفواه الأسود !!

- فوطنهم يرزح تحت الاحتلال !! ..

- وهم يعيشون فى ظروف معادية منذ ألفى سنة !! ..

أى أن الإسلام - برأى هذه الوثيقة الفاتيكانية - قد واصل الاحتلال الرومانى للوطن المسيحى .. وواصل المسلمون فرض الظروف المعادية للمسيحيين والمسيحية ، فأصبح عمر هذه الظروف الآن ألفى عام !! ..

أى أنه إذا كان الرومان قد مارسوا احتلال وطن المسيحية ، وفرض الظروف المعادية على المسيحيين الشرقيين ستة قرون .. فإن الإسلام قد صنع ذلك بهم أربعة عشر قرناً !! ..

بهذه الروح . . وبهذا الحد الأقصى من الكذب . . كتبت
هذه الوثيقة . . التى قالت - فى التقديم^(١) - :

« إن الوضع الراهن فى الشرق الأوسط يماثل ، فى كثير من
الأوجه ، الوضع الذى عاشته الجماعة المسيحية الأولى فى
الأراضى المقدسة ! » . .

وفى البند ٤ تقول الوثيقة :

« إن جماعة المؤمنين الآن تبكى وتحزن ! » . .

وفى البند ١٢٢ تعرض على التمرد « للتحرر من الأشواك
التي تخنق كلمة الله وعمل نعمته فينا ! »

وتحدث - فى البند ١٢٣ - عن « الحاجة إلى مؤمنين
يكونون شهودا ، عالمين أن الشهادة للحق يمكن أن تقود إلى
الاضطهاد ! » . .

وفى البند ١١٧ تدعو إلى أن « نعيش بشجاعة إيماننا ناضجاً ،
حتى لو تطلب ذلك منا تضحيات ! » . .

ولذلك ، فإن هذه الوثيقة القاتيكانية تكرر - فى البند ١١٩ -
النداء القديم للجماعة المسيحية الأولى ، التى عاشت تحت قهر
الرومان ، والتى دفعها الرومان إلى الإحراق والإغراق وأفواه

(١) ص ٤ من الترجمة العربية الرسمية

الأسود . . تكرر الوثيقة ذات النداء القديم ، فنقول للمسيحيين الشرقيين المعاصرين - الذين حكمت بأن وطنهم قد احتله المسلمون ، وأنهم الآن سيكون ويحزنون . . تقول الوثيقة : -
في البند ١١٩ - :

« نستطيع اليوم أيضاً أن نقول لمسيحي الشرق الأوسط :
« لا تخف أيها القطيع الصغير » - لوقا ١٢ : ١٢ . . »

● كذلك تطلب الوثيقة من الكاثوليك الشرقيين - في مواجهة هذا « الاضطهاد » - الذي رآته مماثلاً للاضطهاد الروماني القديم - وأطول منه عمراً . . ! - أن يتحالفوا مع الكنائس الشرقية الأخرى - من الأرثوذكس . . ومع البروتستانت والإنجيليين - فقالت - في البند ٥ - :

« يجب تقوية روابط الشراكة أيضاً مع الكنائس والجماعات الكنسية ، أى الكنائس الأرثوذكسية العريقة ، والجماعات الكنسية التي نشأت من الإصلاح » ! . .
وقالت - في البند ٨٤ - :

« إذ يمكن تحسين العلاقات مع إخوتنا المسيحيين غير الكاثوليك ، أيضاً عن طريق الأنشطة المتاحة محلياً ، مثل الاشتراك في الأخويات التي تقبل الأعضاء بصرف النظر عن انتمائهم الطائفي . « ومع الإدانة الحازمة للاقتصاص الذي يستخدم ومائل لا تنفق مع الإنجيل » ! .

● وأخطر من هذه « الصورة السوداء الرائقة » ، التي صنعتها هذه الوثيقة الفاتيكانية لأوضاع المسيحيين الشرقيين ، هو « الباب الخطر .. باب الخيانة » الذي فتحه الفاتيكان أمامهم ، ودعاهم إلى الدخول فيه .

فبدلاً من أن تدعو هذه الوثيقة الأقليات المسيحية الشرقية إلى مناقشة مشكلاتهم في إطار الجماعات الوطنية التي هم جزء لا يتجزأ منها . . والتي يجب أن يندمجوا وينشطوا فيها . . ومن داخل المشاريع النهضوية التي تنهض بشعوبهم . على اختلاف دياناتها . وبواسطة البرامج الإصلاحية للأحزاب والتنظيمات في مجتمعاتهم . بدلاً من ذلك ، دعا الفاتيكان هذه الأقليات المسيحية الشرقية إلى خيانة انتمائها الوطني والقومي والحضاري ، وطلب التدخل الغربي - السياسي والديني - في الشؤون الداخلية للأوطان التي يعيشون فيها ! . . وعن هذا الأمر الخطير والكارثي ، جاء بهذه الوثيقة الفاتيكانية - في البند ٣٩ - :

« . . ولتدعيم الشروط الضرورية لمثل هذا التطور في العقليات والمجتمع . . يدعو البعض إلى اتخاذ مبادرات سياسية ودينية دولية !! » . .

ولم تقف هذه الوثيقة - في الدعوة إلى طلب التدخل الخارجي - السياسي والديني - في شؤون الدول الشرقية ، عند هذا الحد . .

وإنما ذهبت - بعد أن تحدثت - في البند ٧٦ - عن أن «أقدس قضية هي البشارة بالإنجيل في جميع الخليقة» . . ذهبت إلى أن التبشير بالإنجيل في المجتمعات الإسلامية يحتاج إلى الاستعانة بالتدخلات الخارجية !! . . فقالت - في البند ١١٦ - :

« إن الكرازة بالإنجيل ، في مجتمع مسلم ، يمكن أن تتم فقط من خلال حياة جماعاتنا ، ولكن الأمر يتطلب أن يتم ضمانها بتدخلات خارجية مناسبة » - في الأوقات المناسبة - !! .
هكذا بلغت الرثيقة الفاتيكانية اللبروة في تزيف الصورة المسيحية في الشرق الإسلامي . . فصورت الإسلام احتلالاً وقهراً واضطهاداً ماثلاً ما صنعه الرومان - قديماً - بالجماعات المسيحية الأولى . . وزاد في عمر هذا الاضطهاد وامتد به أربعة عشر قرناً ! ..

وصورت المسيحيين الشرقيين - في المجتمعات الإسلامية - الآن - وعبر التاريخ الإسلامي - في صورة الذين يعيشون في ظروف معادية - أي بين أعداء ! - ولذلك فهم « يكون ويحزنون » !

ويعد « الشحن والتحريض » دعت إلى تحالف الكنائس المختلفة - بمن في ذلك الإنجيلية التي يعاديها الفاتيكان - تحالفهم ضد « العداء .. والأعداء » الذين يعيشون بينهم ! .. وعلقت الآمال في « التطور » وفي « التبشير بالإنجيل في

المجتمعات الإسلامية « على التدخلات والمبادرات السياسية والدينية الدولية .. مع اختيار الأوقات المناسبة لهذه « التدخلات الخارجية » ..

ذلك هو الكذب الصراح والبواح فى تصوير الوضع المسيحى فى بلاد الشرق الإسلامى - الآن ، وعبر تاريخ العيش المشترك بين الديانات السماوية فى ظل الحضارة الإسلامية . .
وهذه هى « الكارثة .. والخيانة » التى فتحت الرقيقة الفاتيكانية أبوابها الكالحة أمام المسيحيين الشرقيين . .

* * *

ولأننا على يقين من أن عقلاء الطوائف المسيحية فى الشرق الإسلامى - وهم كثيرون والحمد لله - لن يختاروا لطوائفهم « الانتحار » بطلب التدخلات الخارجية فى الشؤون الداخلية للمجتمعات التى يعيشون فيها . . ولن يرضوا لأنفسهم وضع الجاليات الأجنبية التى يحميها الغرب الاستعمارى ، ويحركها الفاتيكان . . وإنما سيظلون على موقفهم الوطنى الثابت الساعى إلى حل مشكلاتهم ضمن مشكلات المجتمعات التى يعيشون فيها ، على قاعدة المواطنة التى صاغها الإسلام فى عهد رسوله - عليه الصلاة والسلام - لنصارى نجران ، ولكل من يتدين بالنصرانية ، عبر الزمان والمكان ، قاعدة :

« لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم ، وذلك حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم » ..

● أما افتراءات الوثيقة الفاتيكانية على أوضاع المسيحيين الشرقيين - الآن وعبر تاريخ الإسلام - فإننا - عملاً بمنهاج « وشهد شاهد من أهلها » - نقدم عدداً من الشهادات المسيحية - القديمة والحديثة - عن التحرير والإنقاذ الإسلامي للمسيحية الشرقية من القهر الروماني الذي هددها بالزوال . . حتى لقد كان الإسلام - بحق - هو « المنقذ » لهذه المسيحية وأهلها وكنائسها وأديرتها من السحق الروماني والبيزنطي . . الأمر الذي جعل هذه المسيحية - بحق - « هبة الإسلام » ..

نقدم عدداً من هذه الشهادات المسيحية ، التي ترد هذا الافتراء والتزييف الذي صنعه الوثيقة الفاتيكانية لأوضاع المسيحيين الشرقيين :

وأولى هذه الشهادات : هي للأسقف الأرثوذكسي « يوحنا النقيوسي » - ثالث وجالات الكنيسة الأرثوذكسية في عصره - . . والذي كان شاهد عيان على الفتح الإسلامي الذي حرر مصر - والشرق - من القهر الروماني والبيزنطي الذي دام عشرة قرون - من « الإسكندر الأكبر » (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) - في القرن الرابع

قبل الميلاد - وحتى « هرقل » [٦١٠ - ٦٤١م] - في القرن السابع للميلاد . . .

هذا الفتح الإسلامي ، الذي اعتبره الأسقف يوحنا النقيوسي « إنقاذاً إلهياً » للمسيحية الشرقية . . . لقد شهد النقيوسي الاضطهاد الروماني للمسيحية الشرقية . . . وشهد الحظر الذي فرض عليها . . . ونهب كنائسها وأديرتها . . . وهرب بطركها الأنبا « بنيامين » [٣٩٩هـ - ٦٥٩م] من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عاماً . . . ثم شهد تحرير الفتح الإسلامي لهذه المسيحية الشرقية . . . ورد كنائسها وأديرتها إلى أهلها . . . وعودة بطركها - أمنا - إلى رعيته . . . والأفراح التي قامت في ظلال الفتح الإسلامي . . . شهد النقيوسي كل ذلك . . . وشهد على هذا الذي شاهده ، فقال :

« إن الله ، الذي يصون الحق ، لم يهمل العالم ، وحكم على الظالمين ، ولم يرحمهم لتجرؤهم عليه ، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين - [العرب المسلمين] - . . .

ثم نهض المسلمون ، وحازوا كل مصر . . . وكان هرقل حزينا . . . وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مصر ، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم . . . مرض هرقل ومات . . .

وكان عمرو - [بن العاص] - يقوى كل يوم في عمله ، ويأخذ الضرائب التي حددها ، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس ، ولم يرتكب شيئاً ما ، سلباً أو نهباً ، وحافظ عليها طوال الأيام .

ودخل الأنبا « بنيامين » - بطريرك المصريين - مدينة الإسكندرية ، بعد هروبه من الروم فى العام ١٣ - [أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه] - وسار إلى كنائسه ، وزارها كلها ، وكان كل الناس يقولون : هذا النفى ، وانتصار الإسلام ، كان بسبب ظلم هرقل الملك ، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا « كيرس » - [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر] - .

وهلك الروم لهذا السبب ، وساد المسلمون مصر . .
وخطب الأنبا « بنيامين » - فى « دير مقاريوس » - فقال :
« لقد وجدت فى الإسكندرية ، زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما ، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون »^(١)

● لقد شهد الأسقف يوحنا النقيوسى على أن الفتح الإسلامى لمصر كان « إنقاذاً » لها ولمسيحياتها عن الاضطهاد والظلم الرومانى . .

وسجل - على لسان الأنبا « بنيامين » - بطريرك الأرثوذكس - الذى آمنه وحرره الفتح الإسلامى - أن هذا الفتح قد مثل « زمن

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١ ، ٢٢٠ - ترجمة ودراسة : دكتور عمر صابر عبد الجليل - طبعة دارعين - القاهرة سنة ٢٠٠١ م

وعهد النجاة والطمأنينة بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بها
الظلمة المارقون الرومان . .

● لكن الوثيقة الفاتيكانية جاءت - لتكذب . . وتزعم أن
الفتوحات الإسلامية قد جاءت فاصدت بالاضطهادات والمظالم
للمسيحيين الشرقيين أربعة عشر قرناً !!
وعفى الله عن مسيلمة الكذاب [١٢هـ - ٦٣٣م] الذي كان أكثر
تواضعاً - في كذبه - من الذين صاغوا وثيقة الفاتيكان !!

• • •

وثانى هذه الشهادات : هي للأسقف ميخائيل السرياني -
ميخائيل الأكبر [١١٢٦ - ١١٩٩م] - بطريرك أنطاكية البعلبكي -
الذى شهد - بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي . . ومن العيش
المشترك بين المسيحيين الشرقيين والمسلمين - شهادته التي تدل
على أن عدل الإسلام مع المسيحيين لم يقف عند حقة الفتح
وحكم صحابة رسول الله ﷺ وإنما استمر هذا العدل والإنصاف
عبر هذا التاريخ . . شهد الأسقف ميخائيل الأكبر على هذه
الحقيقة . . فقال :

« إن إله الانتقام ، الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى
يزيل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء . . لما رأى
شرور الروم ، الذين لجئوا إلى القوة ، فتهبوا كنائسنا ، وسلبوا

أديارنا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجشوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . . ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها . . ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العتيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام»^(١)

هكذا شهد الأسقف ميخائيل الأكبر صاحب كتاب الحوليات في تاريخ الكنيسة والشرق - على :

- الاضطهاد الروماني للمسيحية الشرقية . .
- والنهب الروماني لكنائس وأديرة المسيحيين الشرقيين في كل الممتلكات الرومانية . .
- وعلى الخلاص الذي تحقق لهذه المسيحية الشرقية وأبنائها على يد العرب المسلمين .
- وعلى أن الإسلام قد أحل - عبر التاريخ - الأمن والسلام محل « القسوة والأذى والحنق والعنف » الذي فرضه الرومان على المسيحيين الشرقيين . .

(١) سير توماس أونولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٤ ، ٧٣ - ترجمة : دكتور حسن إبراهيم حسن - دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م

● لكن الوثيقة الفاتيكانية جاءت لتكذب على الله والناس والتاريخ . . . ولتقول إن المسيحيين الشرقيين لا يزالون يعيشون - في ظل التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر - ذلك الاضطهاد الروماني ، الذي مد الإسلام في عمره أربعة عشر قرناً . . . وأنهم لذلك لا يزالون يبكون ويحزنون !! . . .

• • •

وثالث هذه الشهادات : هي للعلامة الإنجليزي الحجة ميرتوماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] - صاحب الكتاب « العمدة » [الدعوة إلى الإسلام] . . . والذي شهد بأن السماحة الإسلامية مع غير المسلمين قد امتدت حتى عصرنا الحديث . . . وأن أوروبا - بلد الفاتيكان - لم تعرف مثل هذه السماحة الإسلامية إلا على أنقاض الكاثوليكية في العصر الحديث . . . لقد شهد أرنولد على ذلك ، فقال :

« إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا ، بوجه الإجمال ، في ظل الحكم الإسلامي ، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة . . .

وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على يد

المتزمتين والمتعصبين ، كانت من صنع الظروف المحلية ،
أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح^(١).

وهكذا برآ أنولد الإسلام - غير تاريخه - من التعصب . .
وأرجع التوترات العابرة التي لا يخلو منها مجتمع . . ولا يبرأ
منها تاريخ - إلى شذوذ بعض المتزمتين - لأسباب محلية - عن
سماحة الإسلام . .

• • •

ورابع هذه الشهادات : هي الكلمة الجامعة للمستشرق
الألماني الحجة « آدم منتر » [١٨٦٩ - ١٩١٧ م] - صاحب الكتاب
القذ [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] . والذي لخص
امتياز المسيحيين وامتيازاتهم في التاريخ الإسلامي عندما قال :
« لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام »^(٢)!

فهذا المستشرق الألماني الحجة يقول : إن المسيحيين الشرقيين
- طوال تاريخ الإسلام - كانوا هم رجال الإدارة الذين يحكمون بلاد
الإسلام . . وتأتى الوثيقة الفاتيكانية فتقول : إنهم طوال هذا
التاريخ . . وحتى الآن « يحزنون ويبكون » !! . .

* * *

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٢) آدم منتر [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ج ١ ص ١٠٥ -
ترجمة : دكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ م

وخامس هذه الشهادات : هي للمؤرخ القبطي يعقوب
نخلة روفيلة [١٨٤٧ - ١٩٠٥م] - صاحب كتاب [تاريخ الأمة
القبطية] - الذى كتب عن إنقاذ الفتح الإسلامى لمصر ومسيحتها . .
وعن إشراك الدولة الإسلامية أهل مصر المسيحيين فى حكم
بلادهم لأول مرة فى تاريخ المسيحية الشرقية . . وعن عدالة
الحكم فى ظلال الدولة الإسلامية . . . فقال :

« ولما ثبت قدم العرب فى مصر ، شرع عمرو بن العاص
فى تظمين خواطر الأهليين واستمالة قلوبهم إليه ، واكتساب
ثقتهم به ، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه ، وإجابة طلباتهم .
وأول شىء فعله من هذا القبيل : استدعاء « بنيامين »
البطريرك ، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم ، فكتب
أمانا وأرسله إلى جميع الجهات ، يدعو فيه البطريرك
للحضور ، ولا خوف عليه ولا تثريب . ولما حضر ، وذهب
لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع ، أكرمه ، وأظهر له الولاء ،
وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته ، وعزل البطريرك
الذى كان أقامه هرقل ، ورد « بنيامين » إلى مركزه الأصلي
معززا مكرمًا .

وكان « بنيامين » موصوفا بالعقل والمعرفة والحكمة ، حتى
سماه بعضهم « بالحكيم » . وقيل إن عمرو لما تحقق ذلك
منه ، قربه إليه ، وصار يدعوهُ فى بعض الأوقات ويستشيرهُ فى

الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها . وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منةً عظيمةً وفضلاً جزيلاً لعمره .

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى ، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم ، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة ، وعين نواباً من القبط ، ومنحهم حق التدخل فى القضايا المختصة بالأقباط ، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية . وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى ، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية . .

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة .. وجعله على أقساط فى آجال معينة ، حتى لا يتضايق أهل البلاد .

وبالجملة ، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان ..^(١) فالفتح الإسلامى - فى هذه الشهادة - قد :

- حرر الوطن من استعمار وفقر دام عشرة قرون .

(١) يعقوب نخلة ووفيلة | تاريخ الأمة القبطية | ص ٥٤ - ٥٧ . تقديم : دكتور جودت حيرة . طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ - الطبعة الثانية - القاهرة سنة ٢٠٠٠ م

- وحرر المسيحية المصرية : التي كانت تعامل كهرطقة
محظورة .

وحرر كنائسها وأديرتها ، وردها إلى أهلها .

- وحرر البطريرك المصري « بنيامين » - الذي كان معزولاً ، وهارباً
منذ ثلاثة عشر عاماً . . وأمنه . . وأكرمه . . وأقسم له بالأمان
على نفسه وعلى رعيته . وعزل البطريرك المعين من قبل
المستعمر الروماني .

- وأشرك القبط في حكم بلادهم . لأول مرة منذ الاحتلال
الروماني - ونظم لهم - من أنفسهم - قضاء وظيفاً - ابتدائياً
واستئنافياً - يحكم بينهم بشرائعهم الأهلية والدينية .

- وبعد أن كان المصريون يدفعون - في العهد الروماني - أربعة
عشرة ضريبة - أصبحت ضريبة الخراج عادلة . وعلى أقساط ،
في مواعيد محددة ، وربطت بوفاء النيل « حتى لا يتضايق أهل
البلاد » .

- وتحقق للشعب - الذي تحرر وطنه . . وتحورت عقيدته -
« الحرية والاستقلال المدني ، وهي ميزة كانوا قد جردوا
منها في أيام الدولة الرومانية » . .

هكذا شهد المؤرخ القبطي - يعقوب نخلة روفيلة . . أما وثيقة
الفاتيكان فتقول : إن ما حدث إنما مد في عمر الاضطهاد
الروماني : استمرار الاحتلال . . وبقاء المسيحيين الشرقيين - على
امتداد التاريخ الإسلامي - يحزنون ويبكون !! . .

وسادس هذه الشهادات : هي للمؤرخ المسيحي المعاصر
دكتور جاك تاجر [١٩١٨ - ١٩٥٢م] صاحب كتاب [أقباط
ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] . وفيها يقول :
« إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين ، بعد أن ضمن
لهم العرب ، عند دخولهم مصر ، الحرية الدينية ، وخففوا
عنهم الضرائب .

ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم
الإسلام ، وإدماجهم فى المجموعة الإسلامية ، بفضل إعفائهم
من الضرائب .

أما الذين ظلوا منخلصين للمسيحية ، فقد يسر لهم العرب
سبل كسب العيش . . إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل
الدولة . . » ^(١)

وإذا كان فى قول جاك تاجر إن الإعفاء من الضرائب قد رغب
الأقباط فى اعتناق الإسلام ، ما يعد إهانة للذين تمسكوا بدينهم
يوم كان الرومان يحرقونهم ويرمون بهم طعاما للأسود ! . . فإن
عددا من أقطار الدولة الإسلامية - وفق إحصاءات المصادر

(١) جاك تاجر [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] طبعة
مدينة جرمى - أمريكا - سنة ١٩٨٤م .

الأجنبية - قد ظل ٩٠٪ من سكانها على دياناتهم القديمة بعد مضي قرن على الفتح الإسلامى لهذه الأقطار! ^(١) . . والمهم هى شهادة جاك تاجر على أن الفتح الإسلامى قد استقبل فى مصر كتحرير لها من الاستعمار والقهر الرومانى . وأنه ضمن لمصر الحرية الدينية . . وأن الأقباط كانوا يديرون الدولة فى ظل الحكم الإسلامى . . وذلك على عكس الصورة المزيفة والبائسة التى رسمتها وثيقة الفاتيكان .

* * *

وسابع هذه الشهادات : هى للمفكر والمؤرخ المسيحى اللبناني المعاصر : دكتور جورج فرم . . الذى رصد أسباب التوتر الدينى والطائفى عبر التاريخ الإسلامى ، فبرأ الإسلام وحضارته وتاريخه من التعصب ضد غير المسلمين . . وأرجع أسباب ذلك التوتر المعارض والمؤقت إلى تعصب قلة من الحكام . . أو صلف أهل الثروة والإدارة من أبناء الأقليات ! . . أو الغواية الاستعمارية لأبناء هذه الأقليات ، وما أحدثته من رجود أفعال . . فقال :

« إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين فى الحضارة الإسلامية كانت قصيرة ، وكان يحكمها ثلاثة عوامل :

(١) [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتurكى] ص ٢٥ ، ٢٦ ،

العامل الأول : هو مزاج الخلفاء الشخصى ، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا فى عهد المتوكل العباسى [٢٠٦ - ٢٤٧ هـ - ٨٢١ - ٨٦١ م] الخليفة الميالى بطبعه إلى التعصب والقسوة . وفى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله [٣٧٥ - ٤١١ هـ - ٩٨٥ - ١٠٢١ م] الذى غالى فى التصرف معهم بشدة - [وكلا الحاكمين عم اضطادهما قطاعات كبرى من المسلمين] .

العامل الثانى : هو تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسواد المسلمين ، والظلم الذى يمارسه بعض الذميين المعتلين لمناصب إدارية عالية ، فلا يعسر أن ندرك صلتها المباشرة بالاضطهادات التى وقعت فى عدد من الأمصار .

أما العامل الثالث : فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبى فى البلاد الإسلامية ، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة للتعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة . .

إن الحكام الأجانب - بمن فيهم الإنجليز - لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية فى أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب . وهذه ظاهرة نلاحظها فى سوريا أيضاً ، حيث أظهرت أبحاث «جب» و«بولياك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات فى المجال الاقتصادى قد أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين فى دمشق سنة ١٨٦٠م وبين الموارنة والدروز فى جبل لبنان سنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٦٠م .

ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها ، فى أماكن عديدة ، أعمال نأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية - ولا سيما الأرمن - التى تعاونت مع الغازى .

بل إن كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامى ، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح ، سبباً فى نشوب قلاقل طائفية ، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين فى الابتزاز ، وفى مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة ، أحياناً ، لأبناء دينهم ، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة ^(١) .

• • •

تلك سبع شهادات ، لسبعة من الشهود العدول الثقاة ، من أعلام الدين والفكر المسيحيين - شرقيين وغربيين - تغطى شهاداتهم تاريخ التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق الإسلامى ، على مر تاريخ الإسلام .

وهى شهادات تنقض وتدحض هذا الكذب الصراح والبواح الذى جاءت به وثيقة الفاتيكان . . . والتى صورت المسيحية الشرقية

(١) دكتور جورج قوم [تعدد الأديان ونظم الحكم : دراسة موسيولوجية وقانونية مقارنة] ص ٢١١ - ٢٢٤ - طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م - فضلاً عن دكتور سعد الدين إبراهيم [المثل والنحل والأعراف] ص ٧٢٩ ، ٧٣٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م .

وأهلها في ظل الحكم الإسلامي باعتباره الامتداد للاضطهاد والفقر
الروماني القديم ! ..

• • •

لقد تعهد رسول الإسلام ﷺ بحراسة المسيحية والمسيحيين ..
وكتب بذلك عهدا دستوريا لنصارى نجران - باليمن - قال فيه :

« .. وأن أحمى جانبهم ، وأذب عنهم ، وأحرم دينهم وملتهم
بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتي .. »^(١)

ولقد ظل ذلك واقعا مرعيا ، فى الممارسة والتطبيق ، عبر
تاريخ الإسلام .. شهد به بقاء الوجود المسيحى فى الشرق
الإسلامى .. وشهدت عليه شهادات الشهود الثقة من المسيحيين
الشرقيين والغربيين .

● أما الذين شنوا على الشرق الإسلامى حروبا صليبية دامت
قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] ..
وشنوا الحروب الدينية - ضد البروتستانت - فأبادوا فيها
عشرة ملايين - أى ٤٠ ٪ من شعوب وسط أوروبا - !! ..
وأقاموا محاكم التفتيش ، ثلاثة قرون ، أبادوا فيها الملايين ،
بالإحراق والإغراق وعلى « الخازوق المقدس » !! ..

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ١٢٢، ١٢٤.

كما أبادوا أمما وشعوبا وقبائل وحضارات فى أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ونيوزيلندة - باسم الإنجيل .. وباسم يسوع المسيح - !! .. وباركو اختطاف أكثر من أربعين مليوناً من الزوج الأفارقة ، الذين سلسلوا بالحديد ، وشحنوا فى سفن الحيوانات ، لتقوم على دمائهم وعظامهم رفاة المسيحيين البيض فى أوربا وأمريكا !! .. وشنوا على الشرق الإسلامى ، منذ خمسة قرون ، غزوات التنصير والنهب الاقتصادى ، التى بدأت بالحملة البرتغالية - التى قادها سنة ١٤٩٧م ، « فاسكودى جاما » [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] - رافعا شعار : « التوابل والمسيح » !! ..

أما هؤلاء ، فليس من حقهم التدخل فى شئون المسيحيين الشرقيين .. الذين يجب أن يكون اتماؤهم الكامل - وطنيا وقوميا وحضاريا - للحضارة العربية الإسلامية ، التى أسهموا فى بنائها - عبر التاريخ - والتى لا يزالون يسهمون فى تجديدها حتى هذه اللحظات . فهذه الحضارة هى « كما قال الابن البار للمسيحية الشرقية - ميشيل عفلق - :

« هى ثقافتهم القومية ، وهى أئمن شىء فى عروبتهم .. وأنه لا شىء يعدل شرف الانتماء إليها .. »

فلنحذر - كما يقول عفلق أيضاً - « الأفكار الاستعمارية
الخاطئة ، التي خلقت تيارا انعزاليا ذا وعى وشعور منحرف ،
يسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام » . .

• • •

وفى الختام . . علينا أن نتذكر ونذكر ، بكلمات المفكر القومي
والمجدد الإسلامي عبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠ هـ
١٨٥٤ - ١٩٠٢ م] الذي توجه بالحديث إلى المسيحيين الشرقيين ،
محلوا إياهم من شباك الغرب الاستعماري ، فقال :

« يا قوم ، وأعنى بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين . .
ليقل عقلنا لمثیری الشحنةاء من الأجانب : دعونا نحن ندبر
شأننا ، نتفاهم بالفصحاء ، فنتراحم بالإخاء ، ونتواسى فى
الضراء ، ونساوى فى السراء . .

إننى أدعوكم ، وأخص منكم النجباء ، للتبصر والتبصير
فيما إليه المصير . .

أليس مطلق العربى أخف استحقارا لأخيه من الغربى ؟
هذا الغربى قد أصبح ماديا لا دين له غير الكسب ،
فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء الدينى إلا مخادعة وكذبا . .

وما دعواهم الدين فى الشرق إلا كما يغرد الصياد وراء
الأشباك»^(١)

• • •

إنها الكلمة سواء ، الجامعة لأبناء الشرق الإسلامى ، على
اختلاف المذاهب والديانات . . . نرى لا يقع أحد منهم فى شباك
الذين أفلسوا . . . وانحسرت سلطاتهم فى الغرب . . . وهرب منهم
رعاياهم . . . وأخذت كنائسهم هناك تغلق الأبواب لتحويل إلى
ملاهى ومطاعم وعلب لليل . . . وغرقوا فى مستنقعات الفسائح
الجنسية . . . فجاءوا يلتمسون النفوذ والسلطان على المسيحيين
الشرقيين ! . . . ولتوسلوا إلى هذا النفوذ بهذه الوثيقة الكذوبة ، التى
تفتح نفق « الانتحار » أمام الذين يشكرون لانتماينهم الحضارى ،
ويستبدلونه بالولاء لهؤلاء الذين سطوروا ما جاء فى هذه الوثيقة
الفايتيكانية من افتراءات وأكاذيب !؟

(١) عبدالرحمن الكواكى [الأعمال الكاملة] ص ٢٨٠ ، ٢٨١ - دراسة
وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة - سنة ٢٠٠٧ م .

المصادر والمراجع

● القرآن الكريم .

● الكتاب المقدس .

آدم متز : [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة :
دكتور محمد عبد الهادي أبو ريذة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ م .

ابن القيم : [إعلام الموقعين عن رب العالمين] طبعة بيروت
سنة ١٩٧٣ م . .

[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] تحقيق : دكتور جنيل
غازي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

أرنولد - سير توماس : [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة : دكتور
حسن إبراهيم حسن ، دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل
النحراوى - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

إسرائيل شاحاك : [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود]
ترجمة : حسن خضر - طبعة دار سينا - القاهرة سنة ١٩٩٤ م .

دكتور جاك تاجر : [أقباط ومسلمون عند الفتح العربى إلى عام
١٩٢٢م] طبعة مصورة - مدينة جرسى - أمريكا - سنة ١٩٨٤ م .

جمال بدوى : [الفئة الطائفية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

- جوتفرايد كوتزلن: [مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا] تقديم:
 دكتور محمد عمارة - طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .
- دكتور جورج بوست : [فهرس الكتاب المقدس] مكتبة العائلة -
 القاهرة .
- دكتور جورج قرم : [تعدد الأديان ونظم الحكم] طبعة بيروت
 سنة ١٩٧٩ م .
- دكتور سعد الدين إبراهيم : [الملل والنحل والأعراق] طبعة
 القاهرة سنة ١٩٩٠ م .
- ستونر ستوندرز : [الحرب الباردة الثقافية] ترجمة : طلعت
 الشايب - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢ م .
- الطهطاوى - رفاعة رافع - : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق :
 دكتور محمد عمارة - طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- دكتور عبد الرزاق السنهورى : [إسلاميات السنهورى باشا]
 دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة دار السلام - القاهرة
 سنة ٢٠١٠ م .
- الفاتيكان : [ورقة عمل] لمجمع - سينودس الأساقفة - حاضرة
 الفاتيكان سنة ٢٠١٠ م - الترجمة العربية الرسمية .
- [ورقة الخطوط العريضة] سينودس الأساقفة - الفاتيكان
 سنة ٢٠٠٩ م .

فيليب فارج ، يوسف كرياج : [المسيحيون واليهود في التاريخ
الإسلامي العربي والتركي] ترجمة : بشير السباعي - طبعة دار
سينا - القاهرة سنة ١٩٩٤ م .

الكواكبي - عبدالرحمن : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق :
دكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م .

مؤتمر كولورادو - وثائق : [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي]
طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا سنة ١٩٩١ م .

محمد حميد الله الحيدر آبادي - محقق : [مجموعة الوثائق
السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة
سنة ١٩٥٦ م .

محمد السماك : [الدين في القرار الأمريكي] طبعة بيروت سنة
٢٠٠٣ م .

محمد عبده - الأستاذ الإمام : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق :
دكتور محمد عمارة - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م - وطبعة
دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .

دكتور محمد عمارة : [الغاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق
الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م .

[الإسلام والسياسة] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة
سنة ٢٠٠٨ م .

- [الفتنة الطائفية : متى . . . وكيف . . . ولماذا؟] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٩ م .
- [الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٦ م .
- [من أعلام الإحياء الإسلامى] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .
- محمد فوزد عبد الباقي : [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب - القاهرة .
- دكتور محمود قاسم : [الإمام عبد الحميد بن باديس] طبعة دار المعارف - القاهرة .
- المركز القومي للبحوث الاجتماعية : [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] طبعة المركز - القاهرة سنة ١٩٨٥ م .
- ميشيل عفلق : [فى سبيل البعث] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م .
- يعقوب نخلة روفيلة : [تاريخ الأمة القبطية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .
- يوحنا النقيوسى : [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ترجمة ودراسة : دكتور عمر صابر عبد الجليل - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .

دوريات

- أخبار الأدب - القاهرة .
- الأسبوع - القاهرة .
- الأهرام - القاهرة .
- البديل - القاهرة .
- البصائر - الجزائر .
- الحياة - لندن .
- الدمستور - القاهرة .
- شئون دولية - لندن .
- الشرق الأوسط - لندن .
- صوت الأمة - القاهرة .
- العالم الإسلامى - مكة .
- عقيدتى - القاهرة .
- لوموند - باريس .
- المدينة - الرياض .
- المصرى اليوم - القاهرة .
- منبر الحوار - بيروت .
- نيوزويك - أمريكا .
- الهلال - القاهرة .
- وطنى - القاهرة .
- الوفد - القاهرة .

السيرة الذاتية للمؤلف الدكتور محمد عمارة

أولاً : سيرة ذاتية . . فى نقاط :

- مفكر إسلامي . ومؤلف . ومحقق . . وعضو مجمع البحوث الإسلامية . - بالأزهر الشريف .
- ولد بريف مصر - ببلدة «صرو» ، مركز «قلين» محافظة «كفر الشيخ» - فى (٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٣١ م) - فى أسرة ميسورة الحال - مادياً - تحترف الزراعة وملتزمة دينياً .
- قبل مولده كان والده قد نذر لله : إذا جاء المولود ذكراً أن يسميه محمداً ، وأن يهبه للعلم الدينى - أى يطلب العلم فى الأزهر الشريف .
- حفظ القرآن وجوده به «كتاب» القرية . . مع تلقى العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامى
- فى سنة (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥ م) التحق «بمعهد دمشق الدينى الابتدائى» - التابع للجامع الأزهر الشريف . . ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩ م) .
- وفى المرحلة الابتدائية - النصف الثانى من أربعينيات القرن العشرين - بدأت تفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية ، والأدبية والثقافية . . فشارك فى العمل الوطنى - قضية استقلال مصر . . والقضية الفلسطينية - بالخطابة فى المساجد . . والكتابة نثراً وشعراً - وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» بعنوان «جهاد» - عن

فلسطين في أبريل سنة (١٩٤٨م). وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية . . لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين .

- في سنة (١٩٤٩م) التحق بمعهد طنطا الأحمدي الديني الثانوي - التابع للجامع الأزهر الشريف - ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) .

- وواصل - في مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية . . ونشر شعراً وتقرأ في صحف ومجلات «مصر الفتاة» و«منبر الشرق» و«المصري» ، و«الكاتب» . . وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة (١٩٣٦م) في سنة (١٩٥١م) .
- وفي سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) التحق «بكلية دار العلوم» - جامعة القاهرة . . وفيها تخرج ، ونال درجة «الليسانس» في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسي - إلى سنة (١٩٦٥) بدلاً من سنة (١٩٥٨م) .

- وواصل - في مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطني والأدبي والثقافي . . فشارك في «المقاومة الشعبية» بمنطقة قناة السويس ، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) . .

- ونشر المقالات في صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الأدب» - البيروتية - وألف ونشر أول كتيب عن «القومية العربية» سنة (١٩٥٨م) .

- وبعد التخرج فى الجامعة أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكرى ، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبزر أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة : رفاعة رافع الطهطاوى . . وجمال الدين الأفغانى . . ومحمد عبده . . وعبد الرحمن الكواكبي . . وعلى مبارك . . وقاسم أمين . . وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامى . . مثل : الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا . . والشيخ محمد الغزالى . . وعمر مكرم . . ومصطفى كامل . . وخير الدين التونسي . . ورشيد رضا . . وعبد الحميد بن باديس . . ومحمد الخطير حسين . . وأبى الأعلى المودودى . . وحسن البنا . . وسيد قطب . . والشيخ محمود شلتوت . . والبشير الإبراهيمى . . الخ

- ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم : عمر بن الخطاب ، وعلى ابن أبى طالب ، وأبو ذر الغفارى ، وأسماء بنت أبى بكر . . كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامى - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامى ، مثل : غيلان الدمشقى . . والحسن البصرى . . وعمرو ابن عبيد . . والنفس الزكية : محمد بن الحسن ، وعلى بن محمد . . والماوردى ، وابن رشد (الحفيد) . . والعز بن عبد السلام . . الخ . .

- وتناولت كتبه - التى تجاوزت المائتين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية . . والمشروع الحضارى الإسلامى . . والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية . . وتيارات العنصرية والتغريب . . وصفحات العدل الاجتماعى الإسلامى . . والعقلانية الإسلامية . .

- وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة .

- وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامى - القديم منه والحديث .

- وكجزء من عمله العلمى ومشروعه الفكرى حصل - من كلية دار العلوم - فى العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ، بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» . . وعلى الدكتوراه سنة (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم» .

- وأسهم فى تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة . . وشارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية فى وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما . . كما أسهم فى تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة مثل : «موسوعة السياسة» ، و«موسوعة الحضارة العربية» ، و«موسوعة الشروق» ، و«موسوعة المفاهيم الإسلامية» ، و«الموسوعة الإسلامية العامة» ، و«موسوعة الأعلام» . . إلخ .

- نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية : منها : «المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية» - بمصر ، و«المعهد العالمى للفكر الإسلامى» - بواشنطن ، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر ، و«المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية» - مؤسسة آل البيت - بالأردن . . و«مجمع البحوث الإسلامية» - بالأزهر الشريف . .

- وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة .. والشهادات التقديرية ..
والدروع . . منها : « جائزة جمعية أصدقاء الكتاب » - لبنان - سنة
(١٩٧٢م) . . وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة (١٩٧٦م) . .
ووسام العلوم والفنون - من الطبقة الأولى - بمصر - سنة (١٩٧٦م) .
وجائزة على وعثمان حافظ ، لمفكر العام ، سنة (١٩٩٣م) . . وجائزة
المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، سنة (١٩٩٧م) .
ووسام التيار القومي الإسلامي - الفائد المؤسس - سنة (١٩٩٨م) . .
وجائزة مؤسسة أحمد كانو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين -
سنة (٢٠٠٥م) .

- وجاوزت أعماله الفكرية - تأليفاً وتحقيقاً - مائتي كتاب ،
وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات .

- وترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية
والغربية . . مثل : التركية ، والمالايية ، والفارسية ، والأوردية ،
والإنجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والإسبانية . والألمانية ،
والألبانية ، واليوغوسية .

- الاسم - رباغيا : محمد عمارة مصطفى عمارة .

- العنوان : جمهورية مصر العربية - القاهرة - هاتف

٢٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢ .

* * *

ثانياً : ثبت بأعماله الفكرية :

- في دار الشروق :

١- معالم المنهج الإسلامي .

- ٢- الإسلام والمستقبل .
- ٣- العلمانية ونهضة الحديث .
- ٤- الإسلام وفلسفة الحكم .
- ٥- معركة الإسلام وأصول الحكم - دراسة وتحقيق .
- ٦- الإسلام والفنون الجميلة .
- ٧- الإسلام وحقوق الإنسان : ضرورات لا حقوق .
- ٨- الإسلام والثورة .
- ٩- الإسلام والعروبة .
- ١٠- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية .
- ١١- هل الإسلام هو الحل ؟؟ لماذا . . وكيف ؟
- ١٢- سقوط الغلو العلماني .
- ١٣- الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟
- ١٤- الطريق إلى اليقظة الإسلامية .
- ١٥- تيارات الفكر الإسلامي .
- ١٦- الصحوة الإسلامية والتحدى الحضاري
- ١٧- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية .
- ١٨- عندما أصبحت مصر عربية إسلامية .
- ١٩- العرب والتحدى .
- ٢٠- مسلمون ثوار .
- ٢١- التفسير الماركسي للإسلام .
- ٢٢- الإسلام بين التنوير والتزوير .

- ٢٣- التيار القومي الإسلامي .
- ٢٤- الإسلام والأمن الاجتماعي .
- ٢٥- الأصولية بين الغرب والإسلام .
- ٢٦- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية .
- ٢٧- عمر بن عبد العزيز : ضمير الأمة وخامس الراشدين .
- ٢٨- جمال الدين الأفغاني : موقف الشرق وفيلسوف الإسلام .
- ٢٩- محمد عبده : تجديد الدنيا بتجديد الدين .
- ٣٠- عبد الرحمن الكواكبي : شهيد الحرية ومجدد الإسلام .
- ٣١- أبو الأعلى المودودي والصحو الإسلامية .
- ٣٢- رفاعة الطهطاوي : رائد التنوير في العصر الحديث .
- ٣٣- علي مبارك : مؤرخ ومهندس العمران .
- ٣٤- قاسم أمين : تحرير المرأة والتقدم الإسلامي .
- ٣٥- التحرير الإسلامي للمرأة : الرد على شبهات الغلاة .
- ٣٦- الإسلام في عيون غربية : بين افتراء الجهلاء وإصاف العلماء .
- ٣٧- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية .
- ٣٨- في فقه الصراع على القدس وفلسطين .
- ٣٩- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - دراسة وتحقيق .
- ٤٠- الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - دراسة وتحقيق .
- ٤١- الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دراسة وتحقيق .
- ٤٢- رسالة التوحيد - دراسة وتحقيق .
- ٤٣- طوائع الاستبداد ومضارع الاستعباد - دراسة وتحقيق .

- ٤٤- رسائل العدل والتوحيد - دراسة وتحقيق .
- ٤٥- ابن رشد : دراسات ونصوص - قيد الإعداد .
- ٤٦- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى - قيد الطبع - دراسة وتحقيق .
- ٤٧- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى - قيد الطبع - دراسة وتحقيق .
- ٤٨- الأعمال الفكرية لعلى مبارك - قيد الطبع - دراسة وتحقيق .
- فى مكتبة الشروق الدولية :
- ٤٩- الغرب والإسلام : أين الخطأ وأين الصواب؟
- ٥٠- مقالات الغلو الدينى واللادينى .
- ٥١- الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى .
- ٥٢- الإسلام والأقليات : المعاصى والحاضر والمستقبل .
- ٥٣- الإسلام والآخر : من يعترف بمن ومن ينكر من ؟
- ٥٤- فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام .
- ٥٥- فى فقه الحضارة الإسلامية .
- ٥٦- فى المسألة القبطية - حقائق وأوهام .
- ٥٧- مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية .
- ٥٨- إحياء الخلافة الإسلامية : حقيقة أم خيال؟
- ٥٩- الإسلام والحرب الدينية .
- ٦٠- العطاء الحضارى للإسلام .
- ٦١- الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر .
- ٦٢- من أعلام الإحياء الإسلامى .

٦٣- الفاتيكان والإسلام : أهى حماقة أم عداء له تاريخ ؟

٦٤- التراث والمستقبل .

٦٥- معارك العرب ضد الغزاة .

٦٦- الفتنة الطائفية : متى .. وكيف .. ولماذا ؟

٦٧- الأنبياء فى القرآن الكريم والكتاب المقدس .

٦٨- الترويفات الإلهامية فى مقارنة التواريخ .

- سلسلة : (هذا هو الإسلام) :

٦٩- الدين والحضارة .. عوامل امتياز الإسلام

٧٠- الساحة الإسلامية .. حقيقة الجهاد .. والقتال .. والإرهاب

٧١- احترام المقدسات ، خيرية الأمة .. عوامل نفوق الإسلام

٧٢- الموقف من الديانات الأخرى .. الدين والدولة .

٧٣- الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام .

٧٤- قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى .

٧٥- الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين .

٧٦- الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة .

٧٧- مفهوم الحرية فى مذاهب الإسلاميين .

- فى نهضة مصر :

٧٨- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام .

٧٩- الوسيط فى المذاهب والمصطلحات .

٨٠- القدس الشريف : رمز الصراع وبوابة الانتصار .

٨١- الإصلاح بالإسلام .

- ٨٢- الإسلام والتحديات المعاصرة .
- ٨٣- الإسلام في مواجهة التحديات .
- ٨٤- الاستقلال الحضارى .
- ٨٥- الغارة الجديدة على الإسلام .
- ٨٦- مقام العقل فى الإسلام .
- ٨٧- الفريضة الغائبة : حوار مع ثقافة العنف .
- ٨٨- الانتماء الحضارى : للغرب أم الإسلام ؟
- سلسلة : (فى التنوير الإسلامى) :
- ٨٩- الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .
- ٩٠- الغرب والإسلام .
- ٩١- أبو حيان التوحيدي .
- ٩٢- ابن رشد بين الغرب والإسلام .
- ٩٣- الانتماء الثقافى .
- ٩٤- التعددية : الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية .
- ٩٥- صراخ القيم بين الغرب والإسلام .
- ٩٦- دكتور يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى .
- ٩٧- عندما دخلت مصر فى دين الله .
- ٩٨- الحركات الإسلامية : رؤية نقدية .
- ٩٩- المنهاج العقلى فى دراسات العروبة .
- ١٠٠- النموذج الثقافى .
- ١٠١- تجديد الدنيا بتجديد الدين .

- ١٠٢ - الثواب والمتغيرات في النكتة الإسلامية الحديثة .
- ١٠٣ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- ١٠٤ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟
- ١٠٥ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ١٠٦ - الحضارات العالمية : تدافع أم صراع ؟
- ١٠٧ - الحملة الفرنسية في الميزان .
- ١٠٨ - الأقليات الدينية والقومية : تنوع ووحدة : أم تفتت واختراق؟
- ١٠٩ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية .
- ١١٠ - الغناء والموسيقى : حلال أم حرام ؟
- ١١١ - هل المسلمون أمة واحدة ؟
- ١١٢ - السنة والبدعة - للشيخ الخضر حسين - دراسة وتقديم .
- ١١٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - للشيخ الخضر حسين - دراسة وتقديم .
- ١١٤ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة .
- ١١٥ - مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية) .
- ١١٦ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية .
- ١١٧ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين .
- ١١٨ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية .
- ١١٩ - السنة التشريعية وغير التشريعية - مجموعة دراسات .
- ١٢٠ - شبهات حول الإسلام .
- ١٢١ - المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية .

- ١٢٢- شبهات حول القرآن الكريم .
- ١٢٣- أزمة العقل العربي .
- ١٢٤- فى التحرير الإسلامى للمرأة .
- ١٢٥- روح الحضارة الإسلامية - للشيخ ابن عاشور - دراسة وتقديم .
- ١٢٦- الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ .
- ١٢٧- الساحة الإسلامية
- ١٢٨- الشيخ عبد الرحمن الكواكبي : هل كان علمانياً؟
- ١٢٩- أزمة الفكر الإسلامى المعاصر
- ١٣٠- إسلامية المعرفة : ماذا تعنى؟
- ١٣١- الإسلام وضرورة التغيير
- ١٣٢- النص الإسلامى بين التاريخية والاحتجاج والجمود .
- ١٣٣- الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية
- ١٣٤- صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولى - دراسة وتقديم .
- ١٣٥- عن القرآن الكريم - للشيخ أمين الخولى - دراسة وتقديم .
- ١٣٦- الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده - دراسة وتحقيق .
- ١٣٧- الإصلاح الدينى فى القرن العشرين - الشيخ المراغى نموذجاً .
- ١٣٨- فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين .
- ١٣٩- اجتهاد الرموز وقضاؤه وفتواه - للشيخ جاد الحق على جاد الحق - دراسة وتقديم .
- ١٤٠- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام .

- ١٤١- السلفية : واحدة . أم سلفيات ؟
- فى مكتبة الإمام البخارى : سلسلة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) :
- ١٤٢- رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية .
- ١٤٣- الفارق بين الدعوة والتنصير .
- ١٤٤- علمانية المدفع والإنجيل .
- ١٤٥- صيحة نذير من فتنة الكفر .
- ١٤٦- مقومات الأمن الاجتماعى فى الإسلام .
- ١٤٧- فى النظام السياسى الإسلامى : الخلافة والدولة المدنية .
- ١٤٨- أضواء على الحوقف الشيعى من الصحابة .
- ١٤٩- بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية
- ١٥٠- القدس : أمانة عمر فى انتظار صلاح الدين
- ١٥١- القرآن يتحدى .
- ١٥٢- تحرير المرأة بين الغرب والإسلام .
- ١٥٣- فى فقه المصطلحات .
- ١٥٤- طريق جازودى إلى الإسلام .
- ١٥٥- سلامة موسى : اجتهد خاطئ أم عمالة حضارية ؟
- ١٥٦- الجديد فى المخطط الغربى تجاه المسلمين .
- ١٥٧- الحضارات العالمية : واحدة أم حضارات ؟
- فى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية :
- ١٥٨- أكذوبة الاضطهاد الدينى فى عصر

- ١٥٩ - شبهات وإجابات حول القرآن الكريم .
- ١٦٠ - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام (ج ١، ٢، ٣).
- ١٦١ - فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية .
- ١٦٢ - دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني - وزارة الأوقاف -
بالاشتراك مع آخرين .
- ١٦٣ - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .
- ١٦٤ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين .
- ١٦٥ - السلف والسلفية .
- في مجمع البحوث الإسلامية :
- ١٦٦ - ملاحظات علمية على كتاب المسيح في الإسلام - ملحق مجلة
الأزهر - شهر صفر سنة (١٤٢٧هـ) .
- ١٦٧ - رد الأزهر على كتاب ما هي حتمية كفارة المسيح - ملحق
مجلة الأزهر - شهر ربيع الأول سنة (١٤٢٦هـ) .
- ١٦٨ - الرد على كتاب فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب .
- ١٦٩ - تقرير علمي - في الرد على المنصرين .
- في دار المعارف :
- ١٧٠ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال - لابن
رشد - دراسة وتحقيق .
- بالاشتراك مع آخرين :
- ١٧١ - قارعة سبتمبر - مكتبة الشروق الدولية سنة (٢٠٠٢م) .

- ١٧٢- الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية - الكويت سنة (١٩٨٩م) .
- ١٧٣- القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م) .
- ١٧٤- محمد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م) .
- ١٧٥- عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٣م) .
- ١٧٦- علي بن أبي طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٤م) .
- ١٧٧- السنة والشيعة : وحدة الدين وخلاف السياسة والتاريخ - مكتبة النافذة سنة (٢٠٠٨م) .
- كتب نفذت .. وادمج بعضها في كتب أخرى :
- ١٧٨- فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .
- ١٧٩- العروبة في العصر الحديث - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .
- ١٨٠- الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .
- ١٨١- ثورة الزنج - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٠م) .
- ١٨٢- دراسات في الوعي التاريخي - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٠م) .
- ١٨٣- الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .

- ١٨٤- التراث في ضوء العقل - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .
- ١٨٥- الفريضة الغائبة : عرض وحوار وتقييم - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٣م) .
- ١٨٦- الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٨٠م) .
- ١٨٧- الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٩م) .
- ١٨٨- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت - القاهرة سنة (١٩٨٢م) .
- ١٨٩- الإمام محمد عبده : مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام - مكتبة الإسكندرية سنة (٢٠٠٥م) .
- ١٩٠- محمد عبده : سيرته وأعماله - دار القدس - بيروت سنة (١٩٧٨م) .
- ١٩١- نظرة جديدة إلى التراث - دار فتيبة - دمشق سنة (١٩٨٨م) .
- ١٩٢- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - دار الفكر - القاهرة سنة (١٩٥٨م) .
- ١٩٣- ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت سنة (١٩٨٣م) .
- ١٩٤- رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة - حوار - دار الكتاب الحديث - بيروت سنة (١٩٨٩م) .
- ١٩٥- نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م) .

- ١٩٦ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة
سنة (١٩٧٨م) .
- ١٩٧ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة
سنة (١٩٧٨م) .
- ١٩٨ - إسرائيل : هل هي سامية ؟ - دار الكاتب العربي -
سنة (١٩٦٧م)
- ١٩٩ - الإسلام وأصول الحكم - دراسات ووثائق - المؤسسة العربية -
بيروت سنة (١٩٧٢م) .
- ٢٠٠ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة (١٩٩٧م) .
- ٢٠١ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة
- القاهرة سنة (١٤١٣هـ) .
- ٢٠٢ - تهافت العلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة - القاهرة سنة
(١٤١٣هـ) .
- ٢٠٣ - الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد على أرض فلسطين -
مركز الإعلام العربي سنة (٢٠٠٤م) .
- ٢٠٤ - المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف سنة
(١٩٨٣م) .
- ٢٠٥ - الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت سنة (١٩٨٢م) .
- في دار السلام :
- ٢٠٦ - المشروع الحضاري الإسلامي .

- ٢٠٧- شخصيات لها تأثير .
- ٢٠٨- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية .
- ٢٠٩- كتاب الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام - دراسة وتحقيق .
- ٢١٠- الشيخ محمد الغزالي : الموقع الفكري والمعارك الفكرية .
- ٢١١- إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات .
- ٢١٢- الدكتور عبد الرزاق السنهوري : إسلامية الدولة والمدنية والقانون .
- ٢١٣- أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر .
- ٢١٤- فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية .
- ٢١٥- إسلاميات السنهوري باشا .
- ٢١٦- مقال في السنن الإلهية - الكونية والاجتماعية .
- ٢١٧- الحل الإسلامي لأزمة الرأسمالية العالمية .
- ٢١٨- الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ .
- ٢١٩- جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض .
- ٢٢٠- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده .
- ٢٢١- معالم المشروع الحضارى فى فكر الإمام الشهيد حسن البنا .
- ٢٢٢- محمد ﷺ المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه .
- ٢٢٣- حقائق وشبهات حول القرآن الكريم .

- ٢٢٤- حقائق وشبهات حول السنة النبوية .
- ٢٢٥- حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان .
- ٢٢٦- حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام .
- ٢٢٧- حقائق وشبهات حول معنى النسخ في القرآن الكريم .
- ٢٢٨- حقائق وشبهات حول السنة والشيعه .
- ٢٢٩- حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب .
- ٢٣٠- المؤسسية والمؤسسات في الحضارة الإسلامية .
- ٢٣١- رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم .
- في مكتبة وهبة :
- ٢٣٢- من يحمي المسيحيين العرب . . الإسلام أم الفانيكان ؟
- ٢٣٣- في الرد على كتب الضلال .
- كتب قيد الإعداد :
- ٢٣٤- حقائق وشبهات حول الغزوات والفتوحات الإسلامية .
- ٢٣٥- حقائق وشبهات حول المعاملات المصرفية .
- ٢٣٦- نقد الفكر الديني (الشيعه نموذجاً) .
- ٢٣٧- الغرب والشرق : تاريخ من الغزو والنهب والغواية والتغريب .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ميثاق العيش المشترك	٣
تمهيد	٨
١- خمس مقدمات	٢٢
٢- الفاتيكان والقضية الفلسطينية	٤٤
٣- هجرة المسيحيين الشرقيين	٥٣
٤- حرية الضمير . . . وتغيير الدين	٧١
٥- الدعوة إلى علنية الإسلام والمسلمين	٧٧
٦- المسيحية والسياسات الغربية	١٠٣
٧- الاضطهاد . . . والتحرّض . . . والتدخل الخارجي !	١١٩
المصادر والمراجع	١٤٣
السيرة الذاتية للمؤلف	١٤٨
الفهرس	١٦٨



مَنْ يَحْمِي الْمَسِيحِيِّينَ الْقَرَبَ ..

الإسلام... أم الفاتيكان !!

- قبل الإسلام ، قهر الرومان الشرق عشرة قرون .. وجاءت الفتوحات الإسلامية فحررت الأوطان والضمائر والمقدسات ..
- وأعلن بطرك الأقباط « بنيامين » : أن الفتح الإسلامي قد حقق « النجاة والطمأنينة ، وأزال المظالم والاضطهادات » .. وصدق على شهادته الأسقف « يوحنا النقيوسي » .. والبطرك السرياني ميخائيل الأكبر ..
- وفي العصر الحديث شهد عشرات المستشرقين على هذه الحقيقة .. فقال العلامة الإنجليزي « آرنولد » : « إن الحرية التي حققها الإسلام لم تعرفها أوروبا إلا في العصر الحديث » .. وقال الألماني « آدم منز » : « لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام » ..
- لكن الفاتيكان .. الذي سقطت كنيسته في الشذوذ الجنسي مع الأطفال .. جاء ليزعم :
 - أن نصارى الشرق لا يزال وطنهم محتل ! .. وهم يبكون ويحزنون ! ..
 - كما أعلن خيائنه للقضية الفلسطينية ، بتسمية الضفة الغربية « يهودا والسامرة » ! .. وأدان المقاومة ! .. وسمى الصهاينة : « الإخوة الأعزاء » .. والكبار ! ..
 - ودعا إلى تسييس المسيحية .. وعلمنة الإسلام ! .. وتقصير المسلمين ! ..
 - وحرّض على التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية ! ..
- أنها هجمة فاتيكانية .. وجزء من الحرب الصليبية المعلنة على الإسلام والمسلمين ..
- ولكشف هذه الأكاذيب .. وإعاش الذاكرة بحقائق العصر والتاريخ .. وتبصير المسيحيين العرب بانتمائهم الحضاري .. يصدر هذا الكتاب